

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الصحاح مولاي الطاهر * سعيدة *
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس (ل . م . د)

تخصص : لسانيات عامة

الموسومة بـ :

اللغة و اللهجة

تحت إشراف

د. زروقي معمر

من إعداد الطالبتين:

✓ معمري خضرة

✓ برحو نصيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۱۴۳۸

إهداء

الحمد لله للمولى على نعمة الإسلام الذي أعزنا بها ، الحمد للمعين الذي وهبنا قلوبا
شاكرة ونفوسا خاشعة ، وسبحان الله الذي جعل لنا العلم نور وهدانا سبل الرشاد وما
التوفيق إلى من العزيز الرحيم.

ما أجمل ان يجود المرء بأعلى شيء لديه والأجمل ان يهدي الغالي لأعلى، هي ذي
ثمرة جمد أجنبيها اليوم أبعثها هدية إلى:

نور حياتي و منبع الحنان الى من جعلت الجنة تحت أقدامها ، الى التي سألتها قطرة
حب اهدتني بحرا وطلبتها دعاء اهدتني كتاب ادعية حبيبتي أمي.
إلى من جعلني امرأة شامخة وافتتأ راسها أبي الغالي والعزيز على قلبي
ناصر.

أجل لا يكفي القلم حوكم إخوتي مجزء كلمات المدح وفلسفة الثناء، إلى: العيد
، شيباني، خرفية، فاطمة، أم الخير، خيرة وإلى صغار العائلة....إلى من مَدَّ لي يد العون:
بوشيني إلى من قاسمتني هذه المذكرة أختي و صديقتي الحنوننة نصيرة.

خاتمة

إهداء

إلهي لا يطيب لي الليل إلا بشرك... ويطيب لي النهار إلا بطاعتك... ويطيب لي اللحظات إلى
بذكرك... ولا تطيب لي الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب لي الجنة إلا برويتك...
إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة... ونصح الأمة... نبي الرحمة ونور العالمين محمد طي
الله عليه وسلم.

إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب والحنان... إلى بسمة الحياة وسر الوجود... إلى
من كان دعاؤها سر نجاحي... وحنانها بلسم جراحي... إلى أغلى الحبايب... "أمي
الحبيبة"

إلى من كلله الله بالصيبة والوقار... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... إلى من علمني
العطاء بدون الانتظار... أرجوا من الله أن يمد في عمرك لتري ثمارا قد حان قطفها بعد
طول انتظار... إلى من كان سندي طيلة حياتي.....
"أبي العزيز"

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة... إلى رباحين حياتي إخوتي أحمد-
علي- مصطفى- وفاء- ريمة- مليكة- مروة- إخلص
إلى كل عائلتي كبيرا وصغيرا إلى كل من حمل لقب "برحو"
إلى من رأى التفاؤل بعينه: يحيى.

إلى توأم روحي ورفيقة دربي... إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة... إلى
من تزال ترافقتني حتى الآن أختي وحبيبتي "خضرة"
إلى أعمز صديق محمد.

نصيحة

شكر و تقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله إنه يشرفنا أن نسجل
أسمى آيات الاحترام والتقدير وأخلص عبارات العرفان إلى أستاذنا الدكتور:

"زروقي معمر"

الذي ساعدنا بإشرافه على بحثنا هذا والذي تمهده بالرعاية الصادقة

والتوجيهات السديدة.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الخالص إلى أسرة كلية الآداب واللغويات وقسم اللغة

العربية وآدابها بجامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة وإلى كل من قدم لنا يد العون

طيلة مسيرة هذا البحث على رأسه محمد، لخضر دحمانبي...



مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

باتت اللغة واحدة من أشد الظواهر الإنسانية تشعبا وتعقيدا واتجاها، حتى أضحت من الأمور الصعبة تحديد تعريفا واحدا شاملا دقيقا لها.

ويعود ذلك كونها تعد من أهم مميزات الإنسان الاجتماعية والحضارية والإنسانية، لذا تعرف (اللغة) وتفهم بأنها ظاهرة ليست كأبي ظاهرة وإنما هي ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات، وإن تعدد وتباين وجود تعريفا واحدا لها إلا أنه لم يعد بالعملية اليسيرة.

كما تعبر اللهجة أداة اللغة في النطق أو جرس الكلام، أو أنها الصفات أو الخصائص التي تتميز بها بيئة ما في طبقة أداء اللغة أو النطق.

فهل هناك فرق بين اللغة واللهجة حقا؟ وإن كان فما حدود كلا الجنسين ومميزاته عن الآخر؟

وفي هذا الإطار يندرج موضوع بحثنا الموسوم بـ "اللغة واللهجة" تحت نزول أستاذنا الفاضل لما له من أهمية بالغة في تاريخ الأدب خاصة وأنه يحوي مادة علمية زاخرة. وككل طلبة جامعيين واجهتنا بعض الصعوبات نمكن أن نجملها في:

ضيق الوقت، تشابه المادة العلمية في الكتب بالإضافة إلى عدم توفر الكتب بالحرم الجامعي، متبعين في تناول موضوعنا المنهج الوصفي التحليلي بخطة ارتضاها تمثلت في:

–مقدمة فمدخل وفصلين.

✓ **الفصل الأول: اللغة:**

ويندرج تحته ثلاثة مباحث وهي كالآتي:

* **المبحث الأول:** مفهوم اللغة ونشأتها

* **المبحث الثاني:** ماهية اللغة عند القدماء والمحدثين.

* **المبحث الثالث:** الفرق بين اللغة واللسان والكلام.

✓ **الفصل الثاني:** اللهجة؛ ويتضمن ثلاثة مباحث أيضا:

* **المبحث الأول:** مفهوم اللهجة ونشأتها.

* **المبحث الثاني:** عوامل تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات.

* **المبحث الثالث:** الفرق بين اللغة واللهجة والعلاقة بينهما.

وموضوع اللغة واللهجة، موضوع واسع الذبول شاق الطريق، بعيد المدرك صعب المنال.

واعتمدنا على عدة مراجع نذكر منها:

الخصائص لابن جني، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، خزنة الأدب للبغدادي، اللهجات العربية أنيس فري....

وفي الختام لا يوجد ما هو أعز من النفس من الإعراف بفضل الآخرين على مساعدتهم لنا في إنجاز هذا البحث المتواضع سواء من القريب أو من البعيد كما

نرجو أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في طرح الموضوع ومعالجته بشكل منهجي صحيح ولا شك أنه خال من النقائص فالكمال لله عز وجل.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.



مدخل:

تعتمد الأمم في تثبيت شخصيتها على ركائز مهمة في حياتها وعلى دينها وتقاليدها الخاصة وأعرافها الاجتماعية وعلى لغاتها، ولعل اللغة أعظم ركيزة يقف على أطرفها المجتمع، فيها نسبه وبها يكشف عن مدى تقدمه وتخلفه واللغة كالأإنسان تأخذ وتعطي، تنشأ وتعيش وتتطور وتتوسع وتلد وتموت، وربما دخلت في صرعات واحتدامات فمن كانت قوية متماسكة، وإلا أثر فيها غيرها، وأحل محلها لتموت في الأخير كما حصل للأكاديمية السامية واللاتينية القديمة وغيرها¹.

وفي ظل هذه الصرعات تنشأ أشكال أخرى تعيش في أكناف اللغة الأم وتتغذى بلبانها وتأخذ في وصفها العام ملامح الأمم لكنها تختلف في التفاصيل وقد سميت هذه الأشكال حسب الاصطلاح الحديث **اللهجة**.

فما حدود كلا الجنسين ومميزاته عن الآخر؟ وهل هناك فرق حقا؟

وكيف نشأ هذا الفرع عن ذلك الأصل؟ وما سبب نشوئه؟ بالرجوع إلى معاجم اللغة نجد: **الخليل** يعرف اللغة في العين بقوله: "اختلاف الكلام في معنى واحد".

وعند **ابن الحاجب** في مختصره "حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى" وتبقى هذه التعريفات قاصرة حسب المنظور الحديث الذي يعتبر تعريف **ابن جني** 392 تعريفا حديثا سابقا لزمانه، فيقول {حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم}.

ونقل **السيوطي** 911 المزهرة تعريفه ويزيد **ابن خلدون** 808 تعريف **ابن جني** تفصيلا أكثر فيقول "أعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده

¹ منتدى فرسان الحق، فرسان السنة، ص 12.

وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" ومثل هذا التعريف لا نكاد نجده إلا عند الغربيين، يقول يسبرسن {إن اللغة ينظر إليها عن طريق الفم والأذن لا عن طريق القلم والعين} وفي دائرة المعارف البريطانية تحت مادة اللغة: إنها نظام من الرموز الصوتية، ويشبه هذا التعريف تعريف اللساني فرديناند دي سوسير حيث اعتبرها مجموعة من العلامات اللسانية المنظومة في نسق معين موضوعة للتفاهم والتواصل.

أما اللهجة : ففي عين الخليل : واللهجة طرف اللسان ويقال جرس الكلام ويقال فصيح اللهجة ، واللهجة هي لغته التي جبل عليها فاعتداها ونشأ عليها¹. قال الزبيدي إثر نقل المعنى: " وبهذا ظهر أن إنكار شيخنا على من فسرها باللغة لا الجارحة وجعله من الغرائب قصور ظاهر كما لا يخفى".

يفهم من معنى اللهجة في المعاجم العربية أنها طريقة أداء اللغة أو النطق أو جرس الكلام ونغمته ويعرفها المحدثون بأنها الصفات، أو الخصائص التي تتميز بها بيئة ما في طريقة أداة اللغة أو النطق كما عند عبد الواحد وافي وغيره.

فالعربية لغة الشعوب العربية كلهم، ولكنهم في تطبيق هذه اللغة يختلف قطر عن قطر في أصوات الحروف وصفاتها من التفخيم والتدقيق وإمالة وغير ذلك، فكيفية النطق عند المصريين تختلف من كفيته لدى المغاربة أو العراقيين وهكذا.

ونستخلص: أن اللغة كانت لغة التواصل ناطقة تختلف من قوم إلى قوم وأن اللهجة لم تكن معروفة عندهم بالمعنى الحادث، وإنما كانت تختص بجرس اللسان لكل أحد

¹ المرجع السابق، ص13.

وكيفية استعماله للغة الأم، فيقال فلان فصيح اللهجة، ولم يكن معروفا عندهم درس اللهجات كما يتوفر على درسها المحدثون.

ولم يستعملوا مصطلح اللهجة على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي يقول عبده الراجحي، ومع ذلك كتبهم تعرضت لما نسميه لهجات القبائل العربية كعنينة تميم وكشكشة ربيعة ونحوها، ولم تكن تسميتها لهجة بل كانت تسميتها لغة.

الفصل الأول

اللغة

- ❖ المبحث الأول: مفهوم اللغة ونشأتها.
- ❖ المبحث الثاني: ماهية اللغة عند القدماء والمحدثين.
- ❖ المبحث الثالث: الفرق بين اللغة واللسان والكلام.

الفصل الأول: اللغة.

المبحث الأول: مفهوم اللغة ونشأتها.

1/ مفهوم اللغة:

إن مصطلح اللغة العربية كأى مصطلح آخر له تعريف من حيث اللغة والاصطلاح كما هو معلوم، وإليك خلاصة ما ورد في تعريف مصطلح اللغة.

لغة:

من لغا في القول لغوا أى أخطأ وقال باطلا ويقال لغا فلان لغوا أى أخطأ وقال باطلا، ويقال ألغى القانون ويقال ألغى القانون من العدد كذا، أسقطه والإلغاء في النحو إبطال عمل العامل لفظا ومحلا في أفعال القلوب مثل ظن وأخواتها التي تتعدى إلى مفعولين، واللغا مالا يعتد به، يقال تكلم باللغا ولغات، ويقال سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم واللغو مالا يعتد به من كلام وغيره ولا يصل منه على فائدة ولا نفع والكلام بيدر من اللسان ولا يراد معناه¹.

وجاء في لسان العرب لابن منظور في باب لغا أن اللغة على وزن فعلة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغوة ككرة وثبة كلها لا ماتها وواواتها وقيل أصلها لغى أو لغو والهاء عوض لام الفعل وجمعها لغى مثل برة أو برى والجمع لغات أو لغون²، وقال الكفوي اللغة أصلها لغى أو لغو جمعها لغى ولغات³، وذكرها الفيروز أبادي في مادة

¹ إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، إسطنبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر 2791، مادة لغاص ص 138.

² ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب دار صادر بيروت، باب لغا، الطبعة "3" 12 4141، ص 252.

³ الكفوي أبو البقاء بن موسى الحسنى الكليات، تحقيق عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان 8991، ص 697.

لغو بواو وجمعها على لغات ولغوت¹ وتعد كلمة اللغة العربية أصلية، ذات جذور عربية وتجري في اشتقاقها ودلالاتها على سنن الكلم العربية وذهب فريق من التابعين إلى أن لغة منقولة من اللغة اليونانية، حيث أخذها العرب من كلمة logos اليونانية ومهناها الكلام أو اللغة ثم عربوها إلى لوغوس ثم عملوا فيها من الإعلال والإبدال وغيرهما من الظواهر الصرفية² والقرآن الكريم يسمي اللغة لسانا وقد وردت بمعنيين: أولا: الآية التي يتكلم بها الإنسان ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ نَجْعَلُ لَهُ لُحْمَيْنِ* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾³ وقوله: ﴿فَإِذَا دَخَبَ الْخَوْنُ سَلْمُوكُمْ بِالْسِنَةِ مِدَادٍ أَشَدَّ عَلَى الْخَيْرِ﴾⁴.

ثانيا: اللغة ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾⁵ وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مَصْدِقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾⁵.

وجاء في مفردات الراغب أن المراد من اللسان هي الجارحة وقوتها ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِخْلُفْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾⁶ يعني به من قوة لسانه فإن العقدة لم تكن في الجارحة وإنما كانت في قوته التي هي النطق به ويقال: لكل قوم لسان وليس بكسر اللام، أي لغة.

¹ الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب 9791، مادة لغو، ص 873.

² راوي صلاح، فقه اللغة وخصائص اللغة وطرق نموها ط1، القاهرة، كلية دار العلوم، 3991م، ص 73.

³ القرآن، البلد: 7-8.

⁴ القرآن، الأحزاب: 91.

⁵ القرآن، الأحقاف.

⁶ القرآن، طه: 72.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾¹ وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾² وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللَّوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾³.

فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات وإلى اختلاف النغمات فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر.⁴

اصطلاحاً:

اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تحديد تعريف محدد للغة ويرجع سبب ذلك إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم، وإلينا بعض أهم التعريفات كما ذكرها العلماء القدامى:

ابن جني: أبرز تلك التعريفات وأوضحها هو ما ذكره ابن جني قائلاً:

أما حدها اللغة فإنها أصوات يعبر عنها القوم عن أغراضهم⁵ هذا التعريف عدة من الحقائق المتصلة باللغة حسب رأينا

وهي:

– اللغة ظاهرة من الظواهر الصوتية.

– اللغة لها وظيفة اجتماعية، لكونها أداة للاتصال والتواصل بين أفراد المجتمع جميعاً ووسيلة لتعبيرهم عن أغراضهم وحاجاتهم.

– اختلاف اللغة باختلاف المجتمع.

¹ القرآن، الدخان: 85.

² القرآن، الشعراء: 195.

³ القرآن، الروم: 22.

⁴ الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداوي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، باب لسن، 2141، ص 12.

⁵ ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي نجار، ط3 6141.

ابن تيمية: وقد عرف ابن تيمية اللغة بأنها أداة للاتصال والتواصل وتعبير عما يتصوره الإنسان ويشعر به وهي وعاء للمضامين المنقولة سواء أكان مصدرها الوحي أم الحس، أم العقل، وهي أداة لتمحيص المعرفة الصحيحة، وضبط قوانين التخاطب السليم¹، ويستفاد من تعريف ابن تيمية للغة السمات التالية:

– أن اللغة وظيفة اتصالية وتعبيرية.

– أن لها علاقة بالعقل والتصور والمشاعر.

– أن اللغة أهمية في نقل المعرفة وتمحيصها.

ابن سنان: ويعرف ابن سنان الخفاجي اللغة بقوله هي ما يتواضع القوم عليه من الكلام².

ابن خلدون: وفي إطار تعريف اللغة تحدث ابن خلدون في مقدمته فعرّفها بأنها: أعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصودة وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن صير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو كل أمة بحسب اصطلاحاتها³.

عبد القاهر الجرجاني: ويعرف الجرجاني اللغة بأنها عبارة عن نظام من العلاقات والروابط المعنوية التي تستفاد من المفردات والألفاظ اللغوية بعد أن يسند بعضها إلى بعض ويعلق بعض في تركيب لغوي قائم على أساس الإسناد⁴.

¹ عبد السلام، أحمد الشيخ: اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة ط2، كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، دار التحرير للطباعة والترجمة 6002، ص 08.

² الخفاجي ابن سنان: سر الفصاحة، القاهرة 3591 ج1 ص33.

³ ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة ط4، بيروت، دار الكتاب العلمية ج1 ص 83.

⁴ الجرجاني: دلائل الإعجاز، الرباط، دار الأمان، 9891، ص23.

الدكتور عماد حاتم: وقد عرف اللغة بأنها وسيلة التفاهم بين البشر يكتسبها الإنسان من المحيط الذي يعيش فيه فهي لا توجد بولادة الإنسان وإنما ظاهرة تخضع للشروط التي يعيشها المجتمع الإنساني وهي تنعدم وتتلاشى بانعدام ذلك المجتمع¹.

2/ نشأة اللغة:

لا أحد على وجه التحديد، يعرف متى أو أين أو على أية صورة إبتدأ الكلام الإنساني على الرغم من وجود افتراضات كثيرة في هذا الموضوع، إلا أنه من المعروف جيداً لا يوجد جماعة إنسانية، مهما قل حظها من الحضارة والمدينة لا تمتلك لغة تتفاهم بها وتتبادل الأفكار من خلالها.

كان للعلماء والمفكرين والباحثين اتجاهات وآراء حول نشأة اللغة فقد اختلفت مذاهبهم وتتنوع آراؤهم ومع ذلك لم يتمكنوا من الوصول في بحوثهم إلى نتائج يقينية. وقد احتلت اللغة منذ نشوئها وفي مجرى تطورها المكان الأول والأهم في علاقات الإنسان مع البيئة المحيطة به²، لأنها أي لغة تعد أرقى ما لدى الإنسان من مصادر القوة والتفرد كونه الكائن الوحيد الذي يتصل بغيره عن طريق الألفاظ المتمثلة بلغة الكلام التي يطلق عليها اللغة اللفظية³.

لقد انطلقت اللغة إلى فضاء العالم الواسع من خلال موضوع (فقه اللغة) الذي لم يدرس اللغات فحسب، وإنما جمع دراسات شتى شملت الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتائج الأدبي للغات، وتركز موضوع "علم اللغة" على دراسة اللغة نفسها، مع إشارة

¹ حاتم عماد: في فقه اللغة و تاريخ الاكتاب، طرابلس، ليبيا، المنشأة العامة للنشر والتوزيع و الإعلام 2891، ص 09-10.

² هادي نعمانالهيبي: ثقافة الأطفال، ص 141.

³ ماري باي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد المختار، ص 35.

عابرة ، أحيانا إلى قيم ثقافية وتاريخية ، إلا أنه ظل يولي اهتمامه للغة المتكلمة وإن كان يوجه شيئا من الاهتمام للغة المكتوبة¹.

إن اللغة التي يتخذها علم اللغة موضوعا له، هي اللغة التي تقوم على ربط مضمونات الفكر الإنساني بأصوات ينتجها النطق، التي تقوم على إصدار واستقبال أصوات تحدثها عملية الكلام، فالأصل في اللغة هنا مشافهة، أما الكتابة أو لغة الكتابة فهي لغة أخرى لأنها تمثل الكلام المنطوق بلغة منظورة.

ولهذا تكون الكتابة هي اختراع إنساني لاحق على (اختراع اللغة)، ولم توجد بعض المجتمعات لنفسها هذه الوسيلة من تمثيل اللغة الملفوظة بطريقة (حروف)، وإذا استعرضنا تاريخ الجنس البشري لوجدنا ما يؤكد ذلك، فقد وجدت مجتمعات بدائية لها لغات لا تكتب، ولكننا لا نعرف حتى الآن مجتمعا له لغة مكتوبة لم تتطرق².

يقول (إدوارد سابير) أن الأشكال الكتابية (الحروف) ثانوية بالنسبة إلى رموز الكلام الملفوظة، التي هي الأصوات، أي أن الأشكال الكتابية هي رموز الرموز³.

وأن اللغة لا تعتمد على مجموعة الأصوات والحركات والإشارات، وإنما تعتمد على مجموعة من رموز ومعان محددة، تشكل بدورها طبيعة اللغة التي يعرفها هرسكوفتز بأنها نسق من الرموز الصوتية يمكن بها لأعضاء الزمرة الاجتماعية التعارف والتفاعل.

¹ نوري جعفر: اللغة والفكر، ص 56.

² هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص 141.

³ ماري باي: أسس علم اللغة، ص 35.

بينما يرى بعض علماء اللغة أن كلمة "لغة" تقتصر على اللغة اللفظية، بوصف أن الرموز المصورة لا يمكن أن تقوم مقام الألفاظ اللغوية، لأنها غامضة غير محددة وأن أدق الرموز للتعبير عن الأفكار هي الكلمات¹.

ويذهب البعض الآخر إلى أن اللغة لا تقتصر على اللغة اللفظية وحدها، معتمدين في منهجهم هذا على أساس أن كل طريقة يعبر بها الإنسان عن فكرة أو إحساسه يمكن وصفها لغة قائمة بذاتها، وأن التعبير عن المعنى يتم بطريقتين:

1- الرموز اللفظية: ويطلق عليها اللغة الحقيقية.

2- الرموز غير اللفظية: وهذه لا تجمعها قواعد تسلسل وتتابع مثل التي تحكم الرموز اللفظية. يتضح مما سبق أن أصحاب الرأي الثاني يسندون توضيح ماهية اللغة إلى وظيفة الرمز فطالما أن الرمز يعبر عن معان معينة لا يمكن تسميتها لغة سواء أكان هذا الرمز لفظا يكتب أم ينطق، إذ تسمى باللغة اللفظية، أو كان الرمز إشارة أو حركة وعندئذ تسمى باللغة غير اللفظية.

ويعد هذا الرأي من أكثر الآراء شيوعا في الوقت الحاضر حول عملية تفاهم الفرد واتصاله مع غيره.

فاللغة هي عبارة عن مجموعة من الألفاظ والكلمات والرموز والتجريدات والتعبيرات التي تسمى وترمز الأشياء والأفكار والقيم التي تتصل بالثقافة كونها نتاج ثقافة معينة، وهي التي تقرر إلى حد كبير محتوى الفكر الإنساني، إذ تتحدد مشاركة الفرد في ثقافة مجتمعه بالقياس إلى مجموعة الكلمات التي يستخدمها، فهو يتحدث بلغة ثقافة جماعة، ويفكر مثلما تفكر جماعته ويتبع ذلك أن سبل السلوك السياسي

¹< أحمد بدر: صوت الشعب، 170.

والإطار الثقافي والعمليات الاجتماعية التي تمارسها الجماعة تنعكس على لغتها المستخدمة¹.

إلا أن العلماء قد اختلفوا في نظرتهم إلى نشأة اللغة وانقسموا على عدد من الفرق والاتجاهات، كل يؤيد ما ذهبوا إليه من حجج وبراهين.

فقد امتاز الإغريق الأقدمون بنظرتهم إلى اللغة وتناولها بدقة وحذق وتأملوا في أصلها وتاريخها ونظامها، وكان أفلاطون من القائلين أن اللغة إلهام ومقدرة فطرية، في حين كان أرسطو يرى أن أمر اللغة لا يمكن أن تكون إلهاما وموهبة إنسانية وإنما هي تواضع واتفاق عليها، وظهرت جزاء هذا مدرستان هما:

1- مدرسة القياسيين أو النظريين Amalogistes: وزعيم هذه المدرسة (أرستراخوس) وكان أصحابه يرون أن اللغة كائن طبيعي ولذلك هي قياسية ومنطقية في أصل تكوينها ويذهبون بذلك إلى ما ذهب إليه أرسطو.

2- مدرسة الوضعيين Amomalistes: وزعيم هذه المدرسة (كراتيس) وأصحابها تتخذ من أفلاطون مادة لها ويرون أن اللغة فطرة إنسانية لا يمكن أن تنظمها قواعد أو قوانين ثابتة.

وقد ذهب فريق من العلماء إلى ما يخص نشأة اللغة ووظيفتها، إلى مصادر تشير إلى نشأتها تعتمد على الأساطير والحديث المنقول والمناقشات الفلسفية ولكن تنقصها الحقائق العلمية في هذا الإتجاه.

ومنهم من ذهب إلى عدم الإقتحام في تتبع أمر غيبي لا طائفة تحته ولا يمكن الوصول إلى رأي قاطع فيه وذلك لأن البحث في مثل هذا الموضوع

¹ ستيفن أولمتن: دور الكلمة في اللغة، ص 88.

لا فائدة فيه¹.

في حين أن اللغة توصف بأنها نظام من العلاقات بين رموز منطوقة في ثقافة معينة للتعبير عن معنى²; وقال **فندريس**³ يثير الإنسان دهشة السامع كلما قال بأن مسألة أصل الكلام منذ مائة عام يهيمنون في تيه من الضلال.

ويقول الدكتور **صبي صالح**⁴ "لقد باتت لزاما علينا تجديد البحث في اللغة فليس يعيننا أن نتقصى أصل اللغة الغامض المجهول" وذلك لأن اللغة كائنات حيا ينشأ ويتطور; متغير ومغير في آن واحد.

أما البعض الآخر من العلماء فيبدو أنهم وجدوا أن دراسة نشأة اللغة أمر لا يخلو من فائدة وإن يقدم عالم اللغة تفسيراً نظرياً لنشأتها خير من أن يترك الأمور بدون دراسة. وقد برزت عدة نظريات تبحث في نشأة اللغة وكان **إبن جني** المتوفي سنة 392هـ من الذين كتبوا في هذا الموضوع وذكر نظرية الإلهام ونظرية التواضع والاصطلاح، وكان أمر نشأة اللغة في الأصل لا يعدو أحد هذين الأمرين.

فأما أن تكون اللغة إلهاما من الله سبحانه وتعالى، وأما أن تكون من الإنسان على أساس أن أصل اللغة هو تواضع واصطلاح.

قوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ دليل على أن اللغة وضعت في الإنسان بالإلهام لا بالخطاب⁵.

¹ هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، ص 141.

² اللغة: ترجمة عبد الحميد الدزاخي، ص 29.

³ دراسات في فقه اللغة، ص 35.

⁴ سيف الدين الأمدى: الأحكام في أصول الأحكام، ج1، ص 194.

⁵ سورة البقرة: الآية 31.

وهنا من يرى أن نشأة اللغة ترتبط بنشأة الحضارة، فمنذ العصور البدائية حيث عاش الإنسان في وحدة تامة مع الطبيعة كان متكيفا معها ومحكوما بما تمنحه إياه من طعام - منطلقين من أن اللغة هي وسيلة لنقل المقصود والآراء من شخص إلى آخر بإشارة اليد أو بالرأس أو بتبديل أسارير الوجه وحركة اليد.

ويخبرنا ابن جني أن أبا علي قال له يوما: "أن اللغة هي من عند الله واحتج ويقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾¹ وهذا لا يتناول موضع الخلاف².

إلا أن ابن جني لا يمنع قول من قال بأن الله سبحانه وتعالى قد علم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات³.

ويذكر ابن جني أن اختلاف الألفاظ للمعنى الواحد أثر في اللغات المتعددة إضافة إلى مظاهر التطور للغة وارتباطها بتطور المجتمع الذي يصنع بمحض إرادته ألفاظا جديدة وهذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناعات والآلات صنائعهم من الأسماء، ثم يزيد على ذلك أن ذوق الناس في صنع لغاتهم من دون تدخل وحي أو إلهام لا يشبه

¹ ابن جني: الخصائص، ص 41.

² المصدر نفسه: ص 42.

³ حسن ظاظا: مصدر سابق، ص 59.

إلا الاختلاف في الكتابة، فكل أمة لها خط يميزها وعلى ذلك اختلفت أفلام ذوي اللغات كما اختلفت أنفس الأصوات المرتبة على مذاهبهم في المواصفات¹.

ثم ينتقل ابن جني إلى احتمال آخر أن أصل اللغة جاء من خلال أماكن صنع البشر للغة، وهو أن يكونوا قد استقوها من أصوات الطبيعة وأصوات الحيوان وهي نظرية قال بها الكثير من المحدثين الأوروبيين، ويذهب إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات - كدوي الرياح، وحنين الرعد، وخرير الماء ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عند ذلك فيما بعد، وهذا غدي وجه صالح ومذهب متقبل².

ولكن ابن جني وقف أمام سحر اللغة العربية مبهوراً، وتأمل دقتها وإرهافها، وإذا به بعد أن كان قد اطمأن بأن اللغة اصطلاح من البشر يرجع متردداً، بأنه لا يمكن أن تكون هذه اللغة وليدة اصطلاح عشوائي، ويحال أن تكون مأخوذة من أصوات الرياح والرعد، والماء...

وإذا به يميل إلى أنها وحي من الله سبحانه وتعالى، قد أوحى بها إلى آدم بجميع اللغات في آن واحد³.

ومهما يكن من شيء فإن ابن جني عاد وأضاف إلى أن اللغة «هي من عند الله عز وجل فقوى في نفسي اعتقادي كونها توفيقاً من الله سبحانه وأنها وحي⁴»

¹ ابن جني، مصدر سابق، ص 47-48.

² حسن ظاظا، مصدر سابق، ص 59.

³ ابن جني، مصدر سابق، ص 48.

⁴ علي عبد الواحد: علم اللغة، ص 88-97.

ويبدو أن حالة الاختلاف وتباين الاتجاهات والآراء في تحديد نشأة اللغة كانت واحدة من الأمور التي لم تحسم بشكلها النهائي لدى اللغويين والمفكرين العرب وكذلك لدى العلماء الغربيين أيضاً، إذ هم الآخرون يذهبون إلى أربع نظريات في ذلك¹:

النظرية الأولى:

هي التي ترجع النشأة إلى إلهام إلهي هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء، ومن أشهر الباحثين بها الفيلسوف اليوناني هيراكليت **Herclate** وابن فارس في كتابه "الصاحبي"² والأب لامي **Lami** في كتابه "فن الكلام" والفيلسوف **دوبونالد Dobonald** في كتابه "التشريع القديم".

ولم يستند أصحاب هذه النظرية إلى أدلة نقلية فبعضها يحتمل التأويل وبعضها يكاد يكون دليلاً عليهم وليس لهم، وهي أدلة مقتبسة من الكتب المقدسة.

النظرية الثانية:

هي التي تقرر أن اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والإتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالاً، ومن أشهر الباحثين بها في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني ديموكريت **Democrite**، وفي العصور الحديثة الفلاسفة الإنكليز آدم سميث **Adam Smith**، وريد **Reid**، ودجلد ستيوارت **Daglad Stewart**.

وقد أيد الباحث العربي العالم ابن جني أيضاً رأي أصحاب هذا الاتجاه إذ أشاروا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة وذلك كان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً،

¹ جرجي زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص 56.

² ابن جني: مصدر سابق، ص 44.

فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منهم سمة ولفظا يدل عليه ويغني عن إحضاره أمام البصر¹.

وليس لهذه النظرية أي سند عقلي أو نقلي أو تاريخي بل أن ما تقرره يتعارض مع النواميس العامة التي تسيّر عليها النظم الاجتماعية².

النظرية الثالثة:

وهي التي تذهب إلى أن الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة خاصة رود بها في الأصل جميع أنواع النوع الإنساني، وإن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به، وقد انقرضت هذه الغريزة بالتدرج بعد نشأة اللغة الإنسانية الأولى، ومن أشهر العلماء الذين ذهبوا في هذا الاتجاه العلامة الفرنسي "رنان Renan" والعلامة الألماني "مكس مولر Max Muller" الذي اعتمد على أدلة مستمدة من البحث في أصول الكلمات في الهندية الأوروبية، التي ظهر له أن مفردات هذه اللغات جميعها ترجع إلى خمسمائة أصل مشترك تمثل اللغة الأولى.

وهذه النظرية لا تحل المشكلة لإثارها للعديد من الأسئلة حول كيف ومتى زود الإنسان بهذه الذخيرة اللغوية.

وهذه النظرية تنقل الباحث من مشكلة إلى مشاكل أخرى أعمق منها وأشد غموضا، وربما كان من أبرز عيوبها أنها تفترض ظهور الكلمة أو الكلمات الأولى لدى الإنسان كاملة غير خاضعة لسنة التطور³.

¹ علي عبد الواحد: علم اللغة، ص 90.

² حاتم صالح الضامن: علم اللغة، ص 100.

³ المصدر السابق، ص 98.

النظرية الرابعة:

وهي التي تخلص إلى أن الإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها الطبيعية كالتعبير الطبيعي عن الانفعالات، أصوات الحيوان، أصوات مظاهر الطبيعة والأشياء.

وقد ذهب إلى هذا الرأي معظم المحدثين من علماء اللغة وعلى رأسهم العلامة "وتني Whitni".

وتبنى هذه النظرية على مدى تأثر الإنسان في النطق بألفاظ البيئة التي تحيط به، فازدادت أهميته في الحديث، وسند فراغا كبيرا في اللغة الصوتية.

وإن أهم ما يؤخذ على هذه النظرية أنها تحصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة، وتتجاهل الحاجة الطبيعية الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس، تلك الحاجة التي هي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية.

إن الرغبة الذاتية في التعبير والتفاهم من أهم الدوافع التي يجب أن يعتد بها في نشأة اللغة واضطرار الإنسان الأول للنطق بالألفاظ¹.

إن هذه النظرية هي أدنى النظريات إلى الصحة، وأقربها إلى المعقول وأكثرها اتفاقا مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية.

¹ ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص 84.

وعلى الرغم من حالات التباين التي ظهرت في النظريات آنفة الذكر إلا أن هناك فريق من دارسي اللغة في الغرب قد اتجهوا إلى أن التفكير الصوتي المحض له الدور الفعال والأساس في نشأة اللغة وكانت لهم في هذا الاتجاه أربعة آراء:

الرأي الأول: وهو الذي يذهب إلى أن كلمات اللغات الإنسانية قد جاءت من الأصوات الطبيعية.

الرأي الثاني: يذهب القائلون فيه إلى أن بداية استخدام الإنسان لجهازه الصوتي بصورة أولية كان عن طريق التأوهات والشهقات التلقائية الإنبعائية التي صدرت من الإنسان بصورة غريزية وهو يعبر عن فرح أو ألم أو عن أحاسيسه المختلفة¹.

وقد وضح "فندريس" ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي، إذ أشار إلى أن الرأي يمتاز عن غيره كونه يغزو نشأة اللغة الإنسانية إلى أمر ذاتي، أي أنه يعتقد بالشعور الوجداني الإنساني وبال الحاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان من أحاسيس وانفعالات².

الرأي الثالث: وهو الذي يرى أن هناك صلة حتمية بين المؤثرات الخارجية التي يدركها الإنسان من خلال الأحداث والحوادث والأشياء التي يؤثر بها وإصدارها للأصوات التي تعبر عن تلك المؤثرات، إذ أن الأصوات الصادرة من الإنسان ما هي إلا صدى لتلك المؤثرات وبينهما صلة وثيقة.

إلا أن هذا الرأي قد وجّه إليه النقد كونه مبنياً على أسرار غامضة وأسس غير مدركة، ولهذا فهي نظرية ناقصة وغامضة فنقصها لأنها لا تبين منشأ الكلمات الكثيرة التي لم يمكن ردها إلى أصوات انفعالية، وأما عن غموضها كونها لا تشرح

¹ ماري باي: لغات البشر، ص 38.

² حاتم صالح الضامن: علم اللغة، ص 99.

لنا السر في أن تلك الأصوات الساذجة الانفعالية تحولت إلى ألفاظ وأصوات مقطعية¹.

الرأي الرابع: وهو الرأي الذي يمثل القائلين أن الأصوات لم تصدر من الإنسان وهو منفرد، وإنما تصدر الأصوات من خلال تواجده وتفاعله مع عدد أفراد مجتمعه، لأن الأصوات التي يطلقها الإنسان بتفاعلها وإدراكها من الآخرين تتولد مفردات يمكن التفاهم بها بين الأفراد وبهذا يكتسب الإنسان لغته من المجتمع الذي يعيش فيه². فالإنسان المنفرد إذا أراد أن يقوم وحده بعمل ما دون وجود من يتواجد معه فإن الأصوات التي تصدر عنه لا يكون لها معنى سوى التعبير عن الجهد المبذول. ومن هذه الرؤية تعد اللغة أساس الحضارة البشرية، وتمثل الوسيلة الرئيسية التي تتواصل بها الأجيال، وعن طريقها تنتقل الخبرات والمعارف والمنجزات الحضارية بصورها المختلفة³.

وهذا ما ذهب إليه الباحثون والمختصون في البحث عن نشأة اللغة منذ ظهورها إلى العصور الحديثة وإن دراسة اللغة والتطور اللغوي أمر مستمر كونه يمثل موضوعا حيويا من موضوعات البحث والدراسة في اهتمامات اللغة أن اللغات الانسانية كانت أول أمرها كثيرة الأصوات قليلة المعاني وأن النظريات القائمة على تلك الدراسات التي كانت تعد الأصوات المادة الرئيسية لما يمكن الاطمئنان إلى البعض منها لاستطاعتها الجمع بين كل النظريات الصوتية الأنفة ذكرها التي أسست دراستها على قواعد علمية واضحة المعالم خاضعة للعلم التجريبي الحديث.

¹ نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، ص 19.

² جمعة سيد يوسف: الدراسات النفسية للغة في علم النفس العام، ص 276.

³ جرجي زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص 58.

إن الدراسات الحديثة مستمرة ولم ينته كلامها حتى اليوم عن نشأة اللغات، إلا أن الاتجاه في عمومها سائر نحو الدراسات الصوتية فيها لذا يبقى كلام ابن جني في الأصوات طريا جديدا على الرغم من تقادم العهد به وأن الكلام الذي أورده في النظرية الصوتية كان قفزة زمنية يطل بها من خلف أكثر من ألف عام على علماء اللغة المحدثين لينقل لهم ومضة فكر لم يجدوا في هذا العصر على تقادم الزمان إلا أن يروا رأيا أورده مع شيء من التغيير الطفيف بما يناسب التقدم الحضاري وأجهز الدراسات الصوتية التي أمدهم بها العلم الحديث.

ومع ذلك وعلى الرغم من التباين الذي ظهر بين العديد من الباحثين والمختصين في هذا الجانب، إلا أننا نرى أن الرأي الذي يذهب إلى ما ذهب إليه مفكرو النظرية الرابعة هو الأصوب والذي يقوم على أن نشأة من الأصوات الطبيعية وارتقت تبعا لارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة واتساع نطاق الحياة الاجتماعية وتعدد حاجات الإنسان إذ بدأها الإنسان بمحاكاة الأصوات للتعبير عن الشيء الذي يصدر عن الصوت المحاكى أو عما يلزمه أو يصاحبه من حالات وشؤون¹.

أهمية اللغة:

تعد اللغة أرقى ما توصل إليه الإنسان، وبواسطتها يتم وعي الإنسان للأشياء، فلا معرفة من غير لغة، ولا علم، لا فن، لا أدب، ولا فلسفة، ولا دين من غير لغة، فهي ملتقى النشاطات الفكرية، البعيدة والقريبة في وجود الإنسان².

واللغة سبب ما أحرزه الإنسان من تقدم، ووسيلة ما أبدع من علوم ومعارف، فهي عون كبير على الرقي والتقدم، وعدة صالحة لتوجيه الإنسانية إلى الكمال، وبها

¹ كمال يوسف الحاج: مصدر سابق، ص 07.

² رضوان القضماني: علم اللسان، ص 08.

نعرف تجارب السابقين ونتعظ بحوادث الماضين، وتبني علوما جديدة، وفنونا راقية، ومدنية عالية.

واللغة والفكر هما عنصران متداخلان يؤثر أحدهم على الآخر ويتأثر به، إذ أن اللغة ليست مفصولة عن الفكر، وليست مجرد وعاء له.

ولأهمية اللغة، فقد اتجهت إليها العناية، وانصببت عليها العديد من الدراسات، وتهيأت لها أن تفيد من عدة علوم كعلم النفس وعلوم الاجتماع وعلم وظائف الأعضاء وغيرها.

وقد أضحى أن أحد متطلبات من يريد دراسة الإنسان الدراسة العلمية الصحيحة هي دراسة اللغة التي بها، إذ أن اللغة هي التي تدلنا على الإنسان نفسه، وأن أي شيء يحدث في هذا الكون لا بد أن يكون مرتبطا باللغة. وهي إحدى وسائل نشاطنا العلمي، ولن تكون لأية وسيلة من وسائل هذا النشاط إذا لم تكن في أيد خبيرة¹.

تكسب اللغة أهميتها من خلال اهتمام اللغويين وغيرهم من العلماء الذين ينتمون إلى تخصصات علمية مختلفة، فدراسة اللغة من الناحية الصوتية تعود إلى علم وظائف الأعضاء الذي يقوم بدراسة أعضاء النطق عند الإنسان في حين يدرس علم الفيزياء الأمواج الصوتية في الهواء بين المتكلم والمستمع².

وكما معلوم أن اللغة هي أهم مميزات الإنسان الاجتماعية، فهي تدخل عنصرا أساسيا في تكوين المجتمع من خلال بناء علاقة الأفراد فيما بينهم من جانب وبينهم وبين المجتمع من جانب آخر، ولذلك توصف اللغة بأنها إحدى المكونات الأساسية

¹ حاتم صالح الضامن، مرجع سابق، ص 35.

² هـدسن: علم اللغة الاجتماعي، ص 57.

في عملية اكتساب السلوك الاجتماعي للأفراد¹، وعنصرا مهما من عناصر الحضارة كونها الوسيلة الرئيسية لتعامل الأفراد فيما بينهم².

تلازم الإنسان منذ ولادته العديد من الممارسات والعادات التي يكتسبها بشكل طبيعي ويستخدمها بيسر وسهولة، وأن إحدى هذه الممارسات هي اللغة التي يدركها الفرد منذ ولادته ويكتسبها من غير عناء، حتى أنه يتصور وكأن الفرد قد ولد واللغة جزء منه³، ولل فرد القدرة على اكتساب أكثر من لغة في وقت واحد إذا تعرض لها الإنسان في المجتمع الواحد⁴.

إن إدراكنا لمكانة اللغة في أي مجتمع من المجتمعات، يأتي من خلال اكتساب اللغة لأهميتها في القواعد النحوية والصرفية المحكومة فيها، لأن اللغة التي يتعامل بها المجتمع يفرض عليها نظاما محددًا بقواعد أصولية، وعلى الرغم من التطور الذي يصيبنا على مر الزمن فيحافظ المجتمع ويحترم هذه القواعد والأنظمة التي فرضها على اللغة، إذ أن اللغة ليست من الأمور التي يمكن أن يضعها فرد واحد، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع الإنساني وما يقتضيه هذا النسق من الحياة من تعبير عن الخواطر، وتبادل الأفكار، فهي بالتالي نظام اجتماعي تخضع لما يخضع له المجتمع من مؤثرات تتطور بتطوره وتنمو بنموه، فإذا عرفنا مم يتكون المجتمع، عرفنا بالتالي العوامل الاجتماعية التي تؤثر في التطور والتغيير اللغوي⁵.

¹ نايف خرما وعلي عجاج، مصدر سابق، ص 21.

² نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 72.

³ نايف خرما وعلي عجاج، مصدر سابق، ص 09.

⁴ أحمد عبد الرحمن حماد: عوامل التطور اللغوي، ص 203.

⁵ جمعية سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص 13.

إن التزام المجتمع بهذه القواعد النحوية والصرفية دليل على احترامه للغة، ومن جهة أخرى دليل على أهميتها في المجتمع، فمثلا لا نرى في اللغة العربية أحد يمكن له أن يتكلم ويجعل الفاعل في الجملة منصوبا، أو يجعل صيغة الجمع لأي مفردة من المفردات حسب ما يراه¹.

لقد حددنا أن اللغة وسيلة رئيسية لتعامل الأفراد فيما بينهم، فإن أهميتها تأتي من خلال استخدامها في أوجه الحياة جميعا إذ بها يمكن للفرد أن يعبر عن المشاعر والأحاسيس والانفعالات ونقل الأخبار والاستعلام وكذلك في المراسيم الاجتماعية والشعائر الدينية وغيرها².

حتى أضحت القواعد النحوية والصرفية والعادات اللغوية لأية لغة من اللغات تفرض على المجتمع خيارات معينة لتأويل معنى ما يرى ويسمع ويمر به الفرد³. يأتي هذا من خلال ترجمة الإنسان للإدراكات والأحاسيس التي تلاقيه في المجتمع، فلا يمكن للإنسان أن ينقل حالة لحادثة مأساوية بأسلوب مفرح وعبارات تدل على البهجة حينما يشب حريق في إحدى الأسواق التجارية ويسبب من خلال ذلك خسائر كبيرة في الأرواح والمواد.

إن ما ذكرناه من أهمية للغة تبرز لنا واحدة من الأمور التي تكسب اللغة أهميتها ألا وهو حجم اللغة وكبرها الذي يتضمن العدد الأكبر من الوحدات، الحروف، الرموز

¹ نايف خرما، مصدر سابق، ص 72.

² نايف خرما وعلي عجاج، مرجع سابق، ص 19.

³ هدسن، مرجع سابق، ص 62.

اللغوية، كونها تعتمد عليها في صياغة الكلمات والجمل، فضلا عن أنها لغة متواضعة لاتساع علاقتها المتميزة في المجتمع¹.

وزيادة على ذلك تظهر أهمية اللغة من خلال تمكنها من دفع مجموعة من الناس إلى السير في الشوارع، وتحريض مجموعة على مجموعة أخرى وقذفهم بالحجارة، ولغة إمكانية إخفاء الدوافع الشريرة، والسلوك السيء لدى البشر، وكذلك إبراز المثل العليا والتطلعات الحسنة فيهم.

إن هذا يساعد اللغة على تلبية حاجات الأفراد وطموحاتهم ورغباتهم وإحساسهم من خلال قدرتها ومرونتها، إلا أن هناك لغات في العالم على الرغم من كبرها فإن ثلاثة أرباع سكان العالم لا يتكلمون أية واحدة من اللغات الرئيسية الأوروبية الأصل التي تعد الآن لغات دولية، وأكثر من ثلثي المطبوعات في العالم تحرر باللغات الإنجليزية والروسية والإسبانية، إضافة إلى الألمانية والفرنسية.

وتشير دراسات اليونسكو إلى أن عدد اللغات المكتوبة تقدر بـ 500 لغة، وأن 200 لغة منها لغات لها تراث أدبي، توجد في أوروبا 28 لغة قومية، وفي جنوب آسيا 23 لغة، غير أن العدد الأوفر في إفريقيا تقدر عدد اللهجات بما لا يقل عن 2000 لهجة، ويمكن أن نجد في بلد واحد عددا ضخما من اللغات، فمثلا في غانا توجد 56 لغة، وفي الإتحاد السوفيتي سابقا توجد به 56 لغة ولهجة، وفي الهند يتجاوز 1650 لغة ولهجة أما الهنود الحمر في المكسيك فإنهم يستعملون أكثر من 200 لغة ولهجة².

¹ مصطفى الصمودي: النظام الإعلامي الجديد، ص 209.

² المصدر نفسه، ص 211.

وتقدر الدراسات العلمية التي تنشير في اللغة الإنجليزية بـ 60 % تقريبا التي في الواقع تمثل اللغة الأم لعدد من الأفراد لا يتجاوز 10 % من مجموع سكان العالم¹. وهناك أهمية للغة تبرز بشكل جلي، ألا وهي ارتباطها وقيامها بوظيفة الإتصال بين الأفراد في المجتمع، وهذه الوظيفة لا يمكن أن تتم إلا بوجود اللغة، إذ تعد الوسيلة المباشرة التي يمكن من خلالها توصيل ونقل أو التعبير عن الأفكار والمعاني والانفعالات والرغبات الموجودة لدى الأفراد².

أضحت أهمية اللغة في حياة المجتمعات، واحدة من العوامل الأساسية في تكوين أي مجتمع كونها تؤدي وظيفة رئيسية تدخل في أن يأخذ أي تجمع للأفراد شكل المجتمع البشري، ولأهميتها لأنها الوسيلة الوحيدة في التفاهم وترجمة المشاعر والأحاسيس عند الإنسان، أضحت من العسير إحصاء عدد اللغات المعروفة في الوقت الحاضر، وإن الصعوبة ترتطم أولا من الناحية النظرية، إذ أن الكلمة الاصطلاحية "لغة" تتضمن حقيقة معقدة ليس من السهل تعيين حدودها، من أين تبدأ وأين تنتهي؟ وفي هذه الحالة يكون الرقم الذي يقدمه اللغويون قريبا من الواقع ومع ذلك فهم يختلفون بين ألفين وخمسمائة من الألسنة واللغات وثلاثة آلاف وخمسمائة.

يعود ذلك لأن اللغة ما هي إلا نسق من الإشارات موجودة في أي مجتمع، ومن أجل ذلك المجتمع، فإنها تعد من أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين الأفراد والجماعات، مما أدى إلى أن تشكل اللغة ظاهرة متشعبة النواحي، أثارت ألوانا شتى من البحث والدراسة فإنها وجهت إلى بحوث متعددة³.

¹ حاتم صالح الضامن، مصدر سابق، ص 37.

² مصطفى المصمودي، مصدر سابق، ص 209.

³ المصدر نفسه، ص 211.

فضلا عن البحوث والدراسات الأدبية والصرفية، وعالجها علماء النفس لعلاقتها الوثيقة بين العمل الذهني والدلالات اللغوية، وعنى بها علماء الاجتماع ونظروا إليها كونهما جزءا من التاريخ تسجل الماضي، بل هي قطعة تاريخية متحركة. إن اللغة وكما بينا، عنصر مهم من العناصر التي يتكون منها دستور مجتمع معين، وهي التي تتحكم في سلوك أفراده اللغوي منها وغير اللغوي، إلا أن أهميتها برزت بشكل أكبر بعد اختراع الطباعة في أوروبا في القرن الخامس عشر، التي عدّت أكبر ثورة في عالم اللغة قبل هذا القرن، فكيف تصبح أهمية اللغة بعد الثورة التقنية التي نعيشها الآن؟

كما هو معلوم أن أهمية اللغة ازدادت أكثر فأكثر وبالذات بعد أن أخذت تنتظر لكل الإنجازات البشرية السابقة وتصفها وكأنها نقطة في بحر واسع، إذ أن وسائل الاتصال الحديثة جعلت من الكلمة الوسيلة التي لا غنى عنها لأي إنسان يعيش في أي مجتمع متحضر في العالم، حتى كأن أفكارنا ومعتقداتنا ومفاهيمنا أصبحت جميعها من نتاج وسائل الاتصالات والاختراعات العلمية الحديثة¹.

ومع كل ذلك فإن اللغة لغزا كبيرا وأهمية في حياة أي مجتمع، فلم يعد أي من البلدان أو شعب من الشعوب العيش بمعزل عن بقية البلدان أو الشعوب الأخرى، فبفضل وسائل الاتصال الحديثة المتطورة واللغة المستخدمة فيها أضحت وسيلة من الوسائل الضاغطة لبلورة رأي أو فكرة أو القيام ببرنامج للمساعدات والتنمية، إلى أن ظهرت عدة محاولات لعدد من الحكومات في تبني بعض المشاريع، وبالذات بعد أن أخذت

¹ حاتم صالح الضامن، مصدر سابق، ص 37.

أجهزة الإعلام المختلفة تعمل على مستوى كوكبي، فالكرة الأرضية على حد قول "مارشال ماكلوهان" قد أصبحت قرية إلكترونية.

خصائص اللغة :

تعد اللغة من أهم آليات التواصل ومن أهم تقنيات التبليغ ونقل الخبرات والمعارف من الأنا إلى الغير، أو من المرسل إلى المخاطب، وعلى وجه العموم يشير الكثيرون إلى أنها القدرة على استخدام الرمز اللفظي بانتظام وهي تحقق إنسانية الإنسان، ويمكن للإنسان أن يتصل الأشياء باللغة، وهو وحده الذي لديه القدرة على تسمية مفاهيمه¹ ومن هنا نركز على بعض الخصائص التي تميز اللغة.

1- اللغة سمة إنسانية: أي خاصة بالإنسان وحده، وهي على هذا يجب أن تكون دائما في خدمة أهدافه وأغراضه الحقيقية، وأنها ترتبط بنموه اجتماعيا، واقتصاديا وفكريا، فزُقي الفرد مرتبط إلى حد كبير بنمو لغته ونهضتها.

2- اللغة صوتية: وهذه الخاصية تعني أن الطبيعة الصوتية للغة هي الأساس بينما يجيء الشكل المكتوب لها في المرتبة التالية من حيث الوجود، وعلى هذا فتعليم اللغة يبدأ بالشكل الشفوي الأذني وهذا ما يحدث بالنسبة للطفل، وما يحدث في المدارس الحديثة في تعليم اللغات، إذ تبنت هذه المدارس ما يسمى بالمدخل الأذني الشفوي، فقد احتل الصوت عند العرب منزلة عالية فالرسول صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن سماعا ، قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾²

3- اللغة تحمل معنى: ومعنى هذه الخاصية أن اللغة تتكون من رموز لها معان، وهذه الرموز يعرفها كل من المتكلم والسامع والقارئ، وبدون هذه المعرفة الثابتة

¹ علي عبد الواحد وافي ، نشأة اللغة عند الانسان والطفل، ص 29.

² سورة المزمل، الآية 04.

للمعاني يصبح التواصل صعبا - إن لم يكن مستحيلا- وينبغي أن يكون واضحا أن الصلة بين الرمز والشئ الذي يعنيه صلة عرفية أي ليست طبيعية.

وإذا انعدم هذا الإتفاق انعدم الاتصال بين المتكلم والمستمع أو بين الكتاب والقراء¹.

4- اللغة ذات نظام رمزي: لكل لغة نظام خاص بها، وهذا النظام يتكون من الوحدات الصوتية والمقطعية والكلمات وجمل التركيب فمثلا في اللغة الجملة تكون اسمية أو فعلية وغيرها من الأنظمة التي تخضع لها مادة اللغة العربية².

5- اللغة نامية: إن اللغة شيء متحرك وليس جامد، فهي متحركة ومتغيرة ومتطورة، فالفرد يسعى دوما إلى النمو والتغيير فيحسن من مستواه وقدرته اللغوية باستمرار والمجتمع يتطور بتطور لغته³ وبهذا فاللغة في حالة تطور دائم ما دامت الحياة مستمرة.

6- اللغة مكتسبة: إن اللغة ليست فطرية ولا غريزية، فالطفل لا يولد وهو يحمل لغة أو رموز أو مصطلحات، بل يبدأ في تلقي الأصوات ثم يربط هذه الأصوات بالأشياء أو الحركات ويدرك تدريجيا العلاقة بين الصوت والشخص أو الحركة وهكذا تتكون قدرته وقاموسه اللغوي⁴ وبالتالي ننهي إلى أن اللغة مكتسبة بالتقليد والتعلم في الوسط الاجتماعي الذي يتعرع فيه الطفل.

7- اللغة اجتماعية: إن اللغة تكونه لتكون أداة التفاهم بين أكثر من فرد ولهذا اعترضت وجود مجتمع أو بيئة اجتماعية وفردية، لذلك رأى علماء الاجتماع أن اللغة

¹ مذكور علي أحمد: تدريس فنون اللغة العربية في الابتدائية ، ص50.

² حسن عبد الباري مصر: تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، ص50.

³ مرجع سابق، ص50.

⁴ مذكور علي أحمد: تدريس فنون اللغة العربية، ص41.

"إنتاج اجتماعي" فكلما ازدادت ثروة الطفل اللغوية ازدادت علاقته بغيره¹، إذن اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية تكتسب عن طريق تفاعل الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه.

وظائف اللغة:

اللغة أساس في الحياة البشرية فلا قيام لحياة اجتماعية متماسكة متكاملة إلا بها، ولا تدرس اللغة لتكون مجرد ألفاظ وقواعد ونصوص يتلقاها المتعلم ليودعها ذاكرته ثم يجترها، بل تدرس لتؤدي وظيفتها في مواقف الحياة التي تواجه المتعلم²، وقد انحصرت وظيفة اللغة فيما يأتي :

1/ الوظيفة التخيلية: تسمح للفرد بالهروب من الواقع عن طريق وسيلة من صنعه وتتمثل فيما ينتجه من أشعار في قوالب لغوية، تعكس انفعالاته وتجاربه وأحاسيسه، كما يستخدمها الإنسان للترويح، أو لشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل وإضفاء روح الجماعة، كما هو الحال في الأغاني والأهازيج التي يرددونها الأفراد في الأعمال الجماعية أو عند التنزه³.

2/ الوظيفة النفعية: استخدام اللغة لتلبية متطلبات الفرد وإشباع حاجاته المادية والحصول على الطعام وقضاء حاجاته الأخرى⁴.

3/ الوظيفة التفاعلية: تستخدم اللغة للتفاعل مع الآخرين في العالم الاجتماعي وهي وظيفة أنا وأنت وتبرز أهمية هذه الوظيفة باعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي لا

¹ مروشي مصطفى: الفلسفة ، ج1، ص56.

² زكريا شعبان شعبان: اللغة الوظيفية والاتصال عالم الكتب الحديث ، ص16.

³ جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرضى العقلي ، ص22.

⁴ طعيمة رشدي أحمد: مناهج تدريس اللغة العربية بالتعليم الأساسي ، ص46.

يستطيع الفكاك من أسر جماعته فنحن نستخدم اللغة ونتبادلها في المناسبات الاجتماعية المختلفة ونستخدمها في إظهار الإحترام والتأدب مع الآخرين¹.

4/ الوظيفة التنظيمية: يستطيع الفرد من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين وهي تعرف باسم وظيفة افعل كذا... ولا تفعل كذا كنوع من الطلب أو الأمر لتنفيذ المطالب أو النهي عن أداء بعض الأفعال.

بمعنى آخر أن اللغة لها وظيفة الفعل، أو التوجيه العملي المباشر، ففي عقد القران مثلا يتم الزواج بمجرد النطق بألفاظ معينة، وكذلك في المحكمة، حينما يقول القاضي حكمت المحكمة بكذا، فإن هذه الكلمات تتحول إلى فعل وكذلك اللافتات التي نقرأها هي توجيهات وإرشادات من هذا القبيل².

5/ الوظيفة الشخصية: من خلال اللغة يستطيع الفرد طفلا أو راشدا يعبر عن رؤاه الفريدة ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة، وبالتالي فهو يستطيع من خلال استخدامه اللغة أن يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخر³.

6/ الوظيفة الاستكشافية: بعد أن يبدأ الفرد في تمييز ذاته عن البيئة وهي التي يمكن أن نطلق عليها الوظيفة الاستفهامية، بمعنى أنه يسأل عن الجوانب التي لا يعرفها في بيئة حتى يستكمل النقص في معلوماته عن هذه البيئة⁴.

7/ الوظيفة الإخبارية: فمن خلال اللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، كما ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء

¹ جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص 21.

² مذكور عاطف: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص 19.

³ جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص 21.

⁴ المرجع نفسه ، ص 22.

متفرقة من الكرة الأرضية خصوصا بعد الثورة التكنولوجية الهائلة، ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة لتصبح وظيفة تأثيرية، إقناعية، وهو ما يهتم المهتمين بالإعلام والعلاقات العامة لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة، أو العدول عن نمط سلوكي غير محبذ اجتماعيا ويستخدم في ذلك الألفاظ المحملة انفعاليا ووجدانيا¹.

8/ الوظيفة الرمزية: يرى البعض أن ألفاظ اللغة تمثل رموزا تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي وبالتالي فإن اللغة تستخدم كوظيفة رمزية².

¹ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

² جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص22.

المبحث الثاني: ماهية اللغة (عند القدماء والمحدثين)

لن نجيب عن هذا السؤال الذي يبدو بسيطاً بتعريف جامع مانع كأن نقول اللغة مجموعة من أصوات للتعبير عن الفكر أو أداة للتفاهم أو وسيلة لنقل المعاني، لأن صوغ تعريف علمي شامل للغة ليس بالأمر اليسير كما قد يتبادر إلى الذهن.

لأن اللغة من الأمور الطبيعية المألوفة التي يمارسها جميع البشر على اختلاف أجناسهم عفويًا، فإنها لا تتطلب جهدًا ولا تفكيرًا يستعملها الولد بيسر وهي عنده عملية بسيطة كالمشي والأكل والشرب والنوم...، وها نحن نتكلم في كل حالة من حالات الحياة وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار سواء كنا نائمين أو جالمين. فلماذا نقول أن تعريفها أمر شاق؟

نأخذ التعريف المكرر: "اللغة مجموعة من الأصوات للتعبير عن الفكر".

ونحاول تطبيقه على واقع اللغة: هل اللغة مجموعة أصوات؟ هل فكرة البيت قائمة في الأصوات التي تتألف من اللفظة؟ بكلام آخر ما علاقة أصوات حروف الكلمة بمعناها؟ أليس المعنى قائم في الاختيار لا في الصوت؟¹

عندما نسمع لفظة البيت أليس الاختيار في حنايا العقل الذي يترجم الصوت إلى معنى؟

ولنا أن نسأل هل كل صوت هو لغوي؟ كلا فإن هناك أصوات عديدة لا تدخل في نطاق الأصوات الطبيعية الحيوانية وكبعض الأصوات التي نخرجها من الأسنان أو من الخيشوم، أو من أقصى الحلق، وكالأصوات التي نحدثها بالالتواءات المختلفة للسان.

¹ أنيس فري: اللهجات وأسلوب درستها، دار الجبل بيروت، طبعة أولى 1409هـ، 1989، ص 32.

جميع هذه الأصوات لا تدخل في نظام الأصوات اللغوية، إذن عليا نحدد كلمة الأصوات اللغوية، وعلماء اللغة رغبة منهم في الدقة العلمية يطلقون على الأصوات اللغة مصطلحا علميا: فونيم وجمعها فونيمات أي الوحدة الصوتية للغة، ويعنون بالفونيمات مجموعة من الوحدات الصوتية التي تشكل النظام الصوتي للغة، وتتمثل الفونيمات عادة بحروف الهجاء ولكن حذار، أن نعتقد أن عدد الفونيمات في اللغة ينبغي أن يطابق عدد حروف الهجاء في تلك اللغة كلا فقد يكون للغة ما 26 أو 27 أو 28 حرفا هجائيا ولكننا إذا أحصينا عدد الفونيمات هذه اللغة لوجدنا أنها تريبو عدد حروف الهجاء.

ونمثل هذا بفونيم "ث" في اللغة الإنجليزية فإنه عنصر من عناصر اللغة كما في thin، ولكن هذا الفونيم لا رمز له أي لا حرف له بل يرمزون إليه بحرفي th وقل هذا في الفونيم "ذ" فإنه عنصر من عناصر الإنجليزية كما في لفظة Mother ولكن فونيم "ذ" لا رمز له لا حرف له بل يرمزون له بحروف أخرى.

وفضلا عن هذا فإن علماء الفونيتيك يقولون لنا أن للفونيم الواحد أكثر من لفظ واحد، قد يكون ثلاثة ألفاظ أو أربعة، فإن الفونيم "p" في كلمة¹ speak هو غيره في اللفظ في كلمة Park وقل هذا في فونيم "t" فإنه في Sting غيره team قد لا تستطيع أذني أو أذنك على تمييز بين لفظ وآخر للفونيم الواحد ولكن الآلة المسجلة والفونيتيكي المجرب يستطيعان ذلك.

¹ ينظر: المرجع السابق ، ص32.

ثم اعتبر الشق الثاني من التعريف "اللغة أداة للتعبير عن الفكر" يقول لنا بعض البسيكولوجيين أن اللغة هي الفكر ذاته، أو هي أساس الفكر وطريق الإنسان للفكر، ويؤكد بعضهم أننا لا نستطيع التفكير بدون كلمات.

ألا نكون قد عظمنا ملايين من الناس الذين يتكلمون ولكنهم لا يعبرون عن الفكر؟ ألا نكون قد حققنا الفكر باعتبارنا كل ثرثرة تعبيراً عن الفكر؟ عندما يغضب أحدنا أو عندما تنهال من فيه الشتائم والمسبات، أو عندما يحيي بعضنا بعضاً أو عندما نتكلم ونحن مستلقون على الفراش، هل في هذه المواقف والشبيهة بها تعبير عن الفكر؟ ثم إننا أحياناً نرغب في التعمية والتمويه والإحفاء وأداتنا في ذلك اللغة التي يقولون لنا أنها لنقل الفكر أو للتعبير عنه! لا نكران أن اللغة أداة للتعبير عن الفكر أحياناً فالمحاضر يعبر عن أفكاره بواسطة اللغة والمعلم في مدرسته، والعالم في مخبره، جميع هؤلاء يعبرون عن الفكر باللغة لكن حصر اللغة بأنها أداة للتعبير عن الفكر أمر بعيد عن الواقع¹.

وكذلك قد تكون اللغة تعبيراً عن الشعور والعاطفة، وقد تكون منشؤها العاطفة والشعور لا الفكر، اللغة للغناء، للشعر، للأقاصيص، للأساطير، الخرافات فهي بهجة ومنتعة، وهي متنفس عن الحزن والألم إننا نعجب من الرجل القاسي الذي يحكم على المرأة بأنها ثرثرة فالمرأة مخلوق طبيعي وتشعر أن هذه الهبة العظيمة اللغة لثرثرة الكلام وفي المواقف غير الرسمية.

اللغة عندها شيء مستحب، والثرثرة بهجة ومنتعة، وفي هذا كثير من الصحة. الواقع إن اللغة مجموعة من الأصوات وأكثر من أن تكون أداة للفكر أو تعبيراً عن العطفة،

¹ المرجع السابق ، نفس الصفحة.

اللغة جزء من كياننا البسيكولوجي الروحي، وهي عملية فيزيائية اجتماعية ببيكولوجية على غاية من التعقيد، وتتناول أربع أمور أساسية لتمتم العملية المعقدة:

–متكلم.

–مخاطب.

–أشياء أو فكر يتكلم عنها.

–كلمات أو مفردات أو إشارات ملامحية أو بدوية، وهي مجموعة فونيمات لها في الذهن صورة معينة أي معان.

ولإيضاح هذه العملية المعقدة نأخذ مثال بسيط لا يتبادر إلى الأذهان أنه على شيء من التعقيد، تصور رجل يمشي في الحقل مع ولده الصغير، يرى الولد شجرة تفح عليها ثمار فيقول لوالده: "اقطف لي يا بابا تفاحة"، وقد يترك الوالد عن طلب ولده، فيتناول التفاحة، وقد لا يترك عن طلبه، فيقول: "لا التفاح ليس لنا، للتفاح أصحاب"، فلنحلل هذه العملية الفيزيائية الاجتماعية البسيكولوجية¹.

تبدأ العملية بالصور المرئية، بعالم الأشياء المحيطة بنا وهو العامل المؤثر، فيشتهي الولد التفاحة وتستحيل الصورة الذهنية إلى صورة كلامية تعبيرية: "اقطف لي تفاحة"، كيف تحولت الصورة الذهنية إلى الصورة الصوتية؟ أين كانت هذه الكلمات في دماغ الولد؟ ما العلاقة بين العامل المؤثر والنطق؟ ماذا جرى؟ وكيف تم؟ ثم إن هذه الأصوات التي فاه بها الولد انتقلت إلى أذن الأب بواسطة الموجات في الهواء أولاً ثم إلى دماغه ثانياً، كيف؟ ماذا كان رد الفعل؟ كيف فهم المخاطب المخاطب؟ ماذا دار في دماغ الوالد عند سماع الفونيمات، وهل هي المعنى من الصوت أم أن المعنى

¹ المرجع السابق، ص 33.

قائم في الاختيار؟ أي ما العلاقة بين الأصوات والمعنى؟ وكيف توصل إلى حكم أولاً في العقل ثم استحال الحكم إلى أصوات تعبيرية فقال له "نعم" أو "لا" التفاح ليس لنا؟ وهنا يتدخل البيكولوجي ويقول: "درس اللغة ليس من اختصاص علماء اللغة بل فرع من فروع علم البيكولوجيا، اللغة تصرف رمزي ولا تفسر إلا على أساس المؤثر¹ وردة الفعل، هاتان العبارتان "اقطف لي تفاحة" و"التفاحة ليست لنا" رد فعل سيكولوجي ولا معنى لهاتين العبارتين إلا إذا فهمنا الظروف المحيطة بالواقع الذي نطق بها ثم إن البيكولوجيين أنفسهم إذا سلمنا درس اللغة من اختصاصهم يختلفون كثيرا فيما بينهم في تفسير هذه الظواهر، فقد كان بعضهم إلى زمن قصير يعتقد بالتعليل النفسي أو الروحي، أي أن هناك قوة روحية أو عقلية أو نفسية غير مادية تحرك الإنسان، ولكن جلهم الآن يعللون هذه الظواهر البيكولوجية على أنها عمليات فيزيائية ميكانيكية: مؤثر ورد فعل وتلاءم وتصرف رمزي.

يرى القارئ مما تقدم أن اللغة ليست ظاهرة بسيطة بل يتطلب فهمها فهما صحيحا، إثارة أسئلة خطيرة على الكثير من التعقيد والغموض أما نحن فيهمنا من الأمر تقرير واقع اللغة ظاهرة اجتماعية بيكولوجية قبل أن تكون كلمات وأصواتا وصرفا ونحو وهذا أمر هام جدا، بالنسبة إلينا نحن العرب فاللغة عندنا أداة مركبة من أصوات فكللمات فتراكيب، بينما هي في الواقع الفكر ذاته عند بعضهم أو طريق الفكر لإدراك الوجود عند البعض الآخر، ولا كيان للغة إلا في ذهن الأفراد وهذا أقر به دي سوسير وفان سويت.

¹ المرجع السابق، نفس الصفحة.

وعلى هذا نقول عن اللغة: إنها ظاهرة سيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة¹، لا صفة بيولوجية²، ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختبار لمعان مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاهم وتتفاعل، وباللغة فقط صار الإنسان انسانا وباللغة فقط تطورت الحضارة وتقدم العمران وبلغ العقل الإنساني ذروته، فدرس اللغة درسا علميا فلسفيا درس الإنسان وفكره.

¹ إذا فصل الإنسان عن المجتمع فإنه لن يتكلم بل ينطق بأصوات غير لغوية كسائر الحيوانات وقد يكون لها معان، وكذلك إذ انشأ الطفل في المحيط فإنه يكتسب لغة قوم.

² إن أعضاء النطق كالحلق و اللسان و الحنجرة، وغيرها كثيرة ليست للنطق أولاً أي و وظيفتها الأولى هي غير النطق.

المبحث الثالث: الفرق بين اللغة واللسان والكلام.

لقد فرق دي سوسير بين ثلاثة مصطلحات أساسية في الدرس اللساني، وهذا التعريف يعد قيمة جديدة في البحث اللساني الحديث، وتلك المصطلحات هي: اللغة، اللسان، والكلام.

اللغة:

قبل التطرف إلى مفهوم اللغة عند دي سوسير، لأبأس من الإلمام ببعض التعريفات السابقة على التعريف دي سوسير، ومن أشهر التعريفات ما يلي: يقول ابن جني(ت391هـ) عن اللغة: إنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹. وستكشف من هذا التعريفات ما يلي:

- 1- ذكر ابن جني في تعريفه الطبيعة الصوتية للغة بقوله: "حد اللغة أصوات".
 - 2- ذكر أن وظيفة اللغة الأساسية هي الاتصال من أجل تحقيق الحاجات والأغراض.
 - 3- ذكر أن لكل قوم لغة تخصهم.
 - 4- ذكر أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فهو إذا يلغي فردية اللغة.
- أما ابن خلدون -صاحب المقدمة- فيقول في حد اللغة: إن اللغة في هي عبارة المتكلم عن مقصودة، وتلك العبارة فعلٌ لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتها².

¹ ابن جني، الخصائص، ص33.

² ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص 295.

نستنتج من تعريف ابن خلدون ما يلي:

- 1- وظف ابن خلدون كلمة "عبارة" ليشير إلى الجانب الوظيفي للغة أي: إنه اعتبر اللغة وسيلة لإيصال ما يقصد المتكلم.
- 2- قصد ابن خلدون بعبارة "بحسب اصطلاحاتهم" أن لكل قوم لغة خاصة لهم.
- 3- اللغة ظاهرة اجتماعية عند ابن خلدون، وهذا واضح في العبارة: "وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم".

وبعد هذه الفسحة في التراث العربي القديم، نصل إلى تعريف فرناند دي سوسير للغة، يقول: إنها نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، تحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته¹.
يوجد في التعريف أعلاه عدة مصطلحات من الضروري الوقوف عندها، ومن بين هذه المصطلحات:

1- النظام:

في البداية علينا أن نشير إلى شيء مهم، فمعروف لدى الباحثين أن مؤسس البنيوية هودي سوسير وهو كذلك إلا أنه في محاضراته لم يستعمل قط كلمة (بنية)؛ وإنما استخدم كلمة (نسق) و(نظام)، إلا أن الفضل الأكبر في بروز المنهج البنيوي في دراسة الظواهر اللغوية يرجع إليه، وكل الباحثين يقولون بهذا، وكما هو ظاهر من تعريف دي سوسير أعلاه، فقد بدأ تعريفه للغة بقوله: "إن اللغة تعتبر نظاماً مجرداً من العلاقات، ويتأسس هذا النظام على العلاقات التي ترتبط بها العلامات لتشكل

¹ De Saussure, cours in linguistique général, p p 7-150.

نظاما أو بنية، وهي علاقات يشترك فيها كل أعضاء الجماعة اللغوية، وتمثل المخزون الذهني لهم"¹.

نستنتج مما قال دي سوسير في تعريفه للغة ما يلي:

(1) أن اللغة نظام تجب دراسته على هذا الأساس -باعتباره نظاما- وبالنظر إلى أجزاء هذا النظام، يقول دي سوسير في هذا الصدد: إن قيمة "الكل هي في أجزائه، كما أن قيمة الأجزاء تأتي في مكانتها في هذا الكل وذلك، ولهذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكل أهميتها بين الأجزاء وفيما بينها"².

(2) يعد دي سوسير اللغة ظاهرة اجتماعية، تستخدم لتحقيق النقايم (الاتصال) بين الناس.

ولا بد من الإشارة إلى أن دي سوسير يعد أول من أدرك أن اللغة نظام له قواعد خاصة، وهذا النظام في نظره يقوم على أساس اتفاق اصطلاحي، وقد انطلق كما أشرنا في البداية من التمييز بين ثلاثة مفاهيم في دراسة اللغة، وهي: اللغة، اللسان، والكلام فاللغة عنده ظاهرة عامة يتفرد بها الإنسان عن سائر الكائنات "إنها ملكة التعبير برموز ناطقة"³، يقول: "إن نظرنا إلى اللغة في شموليتها وكتابتها، نجدها متعددة متباينة الأجناس"⁴، فهي تتكون من مسائل غير متجانسة: مسائل نفسية، مسائل فيزيولوجية، مسائل اجتماعية، مسائل فيزيائية... إلخ، هذا ما جعله يحكم عليها بأنها لا تصلح أن تكون موضوعا للسانيات؛ لأنها لا تمثل واقعة اجتماعية

¹ مقالة "اللسانيات النبوية" من الموقع الإلكتروني: مدونة تخاطب.

² يوسف غازي، محاضرات في الألسنة عامة، ص 149.

³ حسني خالد: مبادئ اللسانيات، مبادئ اللسانيات المعاصرة، قراءة وتقييم، ص 25.

⁴ محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار نشر إفريقيا شرق، 2006، ص 23.

خالصة؛ حيث إنها تخص الفرد وتخص الجماعة¹: أي إنها لا تشمل على وحدة الموضوع، الذي هو شرط مهم في عملية أي علم.

أما بخصوص اللسان، فيقول دي سوسير مجيباً عن السؤال: ما هو اللسان؟ فيما يخص، فإننا نفرق بين اللسان *la langue* وبين اللغة *la langage* فليس اللسان إلا جزءاً محدوداً من اللغة، وهو جزء أساس لا شك فيه وبهذا الاعتبار يكون اللسان في الوقت نفسه إنتاجاً مجتمعياً حادثاً عن ملكة اللغة، وعن أنواع التواطؤ، والاتفاقات الضرورية التي أقرها المجتمع وسنها؛ لكي تأتي ممارسة هذه الملكة عند الأفراد².

واللسان يقصد به لغة معينة كالعربية، والألمانية والفرنسية والتركية والإنجليزية... وغيرها من الألسنة فاللسان *la langue* ظاهرة اجتماعية تعم جميع الأفراد المنتمين تحت جناح أسرة لسانية واحدة، إنه شبيه بمعجم توجد منه نسخ في الأدمغة وأفراد المجتمع³.

من مميزات اللسان التي نجدها في تعريف دي سوسير أعلاه ما يلي:

- 1) اللسان جزء من اللغة.
 - 2) اللسان متجانس في ذاته.
 - 3) اللسان ظاهرة اجتماعية.
 - 4) اللسان يمكن أن يبحث مستقلاً عن الكلام.
 - 5) كل ما يتعلق باللسان يمكن تحديده.
- لهذا كله جعل سوسير اللسان هو موضوع اللسانيات.

¹ مذكور عاطف: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص 29.

² عبد القادر قنيني: محاضرات في علم اللسان، ص 23.

³ مبادئ اللسانيات المعاصرة: قراءة وتقويم، ص 26.

أما الكلام parole، فهو كل ما يلفظه أفراد المجتمع المعين؛ أي ما يختارونه من مفردات وتراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق¹ بالاعتماد على المعرفة المشتركة لدى الجماعة اللغوية المعينة، وشرط الكلام هو وجود متكلم ومستمع، إذاً فالكلام إنجاز فردي ملموس لقواعد اللغة؛ والفردي يقوم على عنصر الاختيار، وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية².

خلاصة القول: لقد ميز دي سوسير بين ما هو ملكية بشرية (اللغة) وما هو تواضع اجتماعي (اللسان) وما هو إنجاز فردي ملموس بوعي واختيار (الكلام) وهو التمييز بين ما هو اجتماعي وفردي، وما هو جوهري وثانوي.

¹ محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم، ص 200.

² مذكور عاطف: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، ص 29.

الفصل الثاني

اللهجة

- ❖ المبحث الأول: مفهوم اللهجة ونشأتها.
- ❖ المبحث الثاني: عوامل تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات.
- ❖ المبحث الثالث: الفرق بين اللغة واللهجة والعلاقة بينهما.

الفصل الثاني: اللهجة.

المبحث الأول: مفهوم اللهجة و نشأتها:

أ) مفهوم اللهجة:

اللهجة في الاصطلاح العلمي هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلي بيئة خاصة، ويشترك في الصفات جميع أفراد هذه البيئة¹ التي قد تكون مدينة أو قرية أو حيا من مدينة ما.

وهي مجموعة من الخصائص اللغوية يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية معينة، وتكون تلك الخصائص على مختلف المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وتميزها عن بقية اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، ولكن يجب أن تبقى تلك من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة عن إختها عسيرة الفهم على أبناء اللغة لأنه عندما تكثر هذه الصفات الخاصة على مرّ الزمان لا تلبث هذه اللهجة أن تستقل، وتصبح لغة قائمة بذاتها كما حدث للغة اللاتينية التي إندثرت وتفرع عنها لغات لها كيائها وخصائصها منها الإيطالية، الفرنسية والإسبانية، وكما حدث للغة السامية أي الأم التي استقلت عنها اللغات العربية، العبرية والآرامية وغيرها².

¹ إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 16.

² أنظر: المرجع نفسه.

(ب) نشأة اللهجة:

إن مؤرخو العرب وصرفيوهم قد أشاروا إلى اللهجات العربية إشارات عابرة¹ وكلهم لم يحاولوا الإجابة عن السؤال: كيف نشأت اللهجة؟ فقد تكلم الكسائي، تلميذ الخليل عن اللحن العامة "وله في الكتاب محظوظ" وذكره الجاحظ كثيرا من النوادر اللغوية التي تعكس لحن العامة وعجم البعض وتكلم ابن خلدون عن "فساد الكلمة" ولغة الأمصار"، وتكلم غيره عن "اللغات الفاسدة"، وعن "الرطانة"، "العجمة"، ومنهم من أشار إشارات دقيقة على اللهجات وقرنها باسمها تميزها: كشكشة الأسد وعننة التميم وطمطممانية الحمر عججة القضاة وغيرها² ولكن أحدا من القدماء لم يدرسها، وعلى دارس اللهجات العربية القديمة أن يبدأ بالاختلافات في القراءات المتبعة في قراءة القرآن وجمع النتن الباقية في ثنايا كتب الأدب "ملاحظات الجاحظ" مثلا، وجمع الملاحظات المعجمية ومتى تم جمعها بتبين له أن الفروقات بين هذه اللهجات ليست يسيرة بل تتناول نواحي لغوية عديدة على الصعيد الصوتي والصرفي النحوي والمعجمي، وجل من يفهم من كلامهم أن اللهجات العربية في انحطاط لغوي، منهم من هذا القبيل ينتمون إلى المدرسة التي تقول أن اللهجة في انحطاط لغوي، وقد أشرنا سابقا إلى فساد هذا الرأي، وقلنا إن علم اللهجات قد أثبت بطريقة لا يتسرب إليها الشك أنه ليس ضروريا أن تكون اللهجة في انحطاط من اللغة الفصحى فقد تكون أقدم منها في الزمن، أو قد تمثل تطورا وتقدما لا انحطاطا، ولا يمكن الأخذ بالرأي القائل أن نشوء اللهجات مرده إلى الخروج العربية من موطنها

¹ وقد جمع هذه الإشارات العبرة مستشرق ألماني Johann feuche فكتابه له نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار: العربية الدراسات اللغة اللهجات والأساليب القاهرة، 1951، مطبعة دار الكتاب العربي.

² الخصائص: لابن جني، ص 410-412 وعنه أخذ السيوطي في المزهري، ص 221-226.

الأصلي واحتكاكها بلغات أخرى ولو كان هذا فكيف نعلل نشوء اللهجات في البلاد العربية ذاتها حيث ظلت الفصحى على عزلتها؟ إذا علينا أن نهمل هذا الزعم وأن نفتش على سبب نشوء اللهجة الحقيقية، ونحن نعتقد في مقدمة الأسباب ثلاثة عوامل¹:

–المغايرة الفردية.

–اتساع الرقعة الجغرافية.

–احتكاك اللغة بلغة أخرى.

المغايرة الفردية:

لقد أثبت لنا علم اللغة أن لكل إنسان لهجته الخاصة، وأن هناك لهجات في اللغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللغة ! وهذه أول مفاجأة يفاجأ بها علماء اللغة، يقولون لنا أن المجتمع الذي يتكلم أفراده لغة واحدة لا وجود له، وإذا أبديت شكاً في ذلك أدخلوك إلى مختبر الفونيتيك وقالوا لك اجلس أمام هذه المسجلة وتلفظ هذه العبارة: ما أجمل الطقس، ثم بعد ربع ساعة يقولون لك تعال سجل لنا مرة أخرى ثم يتركونك تقابل بين تسجيلك الأول والثاني وستجل لنفسك فروقا، ولكنها فروق لا تستطيع الأذن تمييزها إنما الآلة تستطيع ذلك، إذا أردت في المعاندة أن أدخلوك إلى غرفة مظلمة وطلبوا من صديقين لك لا يعلم لك بوجودهما هناك أن يتكلم فإنك تعرف حالا صاحب الصوت هذا هو فلان: وصاحب الصوت ذلك هو فلان، فإن هناك تباينا ظاهرا في اللفظ وفي الشدة واللين والنبرة وربما في انتقاء المفردات وفي تركيب العبارات.

¹ أنيس فري: اللهجات وأسلوب دراستها، ص 86.

وتعرف هذه الظاهرة في اللغة بالمغايرة الفردية ولا تظن أن هذه المغايرة تعمدية كأن يكون أحدنا متحذقا أو متشدقا أو متحرجا، في لفظه كلا إن هذه المغايرة الفردية طبيعية عفوية ولا نعلم السبب في ذلك كما أنت لا تعلم لماذا تشبه حبة القمح حتى أخرى في عرمة من القمح، ولا يولد ولد يكون صورة طبق الأصل لأبيه أو لأمه، فكأن الطبيعة تكره الوحدة وتميل إلى المغايرة، ولهذه المغايرة الفردية في اللغة جيلا بعد جيل تترك أثر في اللغة ونحن على يقين أن العرب الأحياء يقرؤون الفصحى على غير ما كان يقرأها الفصحاء في العصر الأموي، أما من جهة التكلم فالظاهرة أن لساننا العربي اليوم غير لسان العرب بالأمس البعيد.

حسب هذا الزعم تتجراً اللغة بعد جيل أو جيلين إلى لهجات لا حصر لها، ذلك لأن هناك مقابل هذا الميل العفوي إلى المغايرة الفردية ميل آخر النورم¹ ولكل لغة نورمها الخاص، فإن أفراد المجتمع من غير وعي يميلون إلى البقاء ضمن نطاق نورم اللغة، قد يكون السبب في ميلنا الغير الوعي للبقاء في النورم اللغوي خوفاً من أن نخالف ما عليه الجمهور، وقد يكون الإصلاح الخطأ الذي يحرص الآباء والجيل القديم على أن ينبهوا عليه الجيل الجديد، وقد يكون خوفاً من السخرية، أو تهرباً من أن نرمي بالتخلف والتشدق والمغايرة لا لسبب يسوي عن أن يقابل أن أننا نختلف عن الآخرين، وقد يكون هناك أسبابا بسلوكية أخرى لا نعرف لها تعليلاً، والأسباب لا تهمننا بقدر ما يهمننا تقرير الواقع وهو أن لكل لغة حياة قوانين متضادتين الأولى تدفع بالفرد نحوى المركز والدفع به عن المركز يخلق نوعاً من التوازن اللغوي الذي

¹ وهو النموذج العام: أو القياس المشترك المتفق عليه في المجتمع، أو العام المؤلف أو الطابع المميز مثل هناك نورم اللهجة اللبنانية واللهجة المصرية نورم خاص فإنك إذا سمعت لبنانياً أو مصرياً يتكلم قلت حالا هذا لبناني وهذا مصري ونستعمل لفظة نورم بشكلها الفري تخلصنا من صعوبة الترجمة إلى أن يتفق العرب على الترجمة لها.

يعرف بالنورم، وهذا ما يبقي اللهجة ضمن نطاق معين إلى حين، ومما يؤخر عملية التجزؤ السريع.

اتساع الرقعة الجغرافية:

ذكرنا سابقا أن اللغة مجرى طبيعيا تسير فيه، وقد تحافظ اللغة على أصواتها¹ وعلى صرفها ونحوها وتركيبها زمنا طويلا إذا ظل المجتمع الذي يتكلم بهذه اللغة مجتمعا صغيرا قريبا من المواطن الأول أو إذا ظل متماسكا متجانسا منكمشا على ذاته، أشد أفرده ببعضهم البعض عوامل اقتصادية وروابط روحية وأمانة مشتركة، ولكن هذا لا يعني أنه يطرأ تغير ما كلا، بل يكون التغير طفيفا وبطيئا لا يظهر أثره في الحال، أما إذا انحل المجتمع إلى مجتمعات بسبب الضعف الروابط التي كانت تربطه سابقا، أو بسبب فقدانها فإنه يجري بالميل إلى التشعب والانقسام وعندها تظهر الفروقات اللغوية بسرعة ووضوح، ولكن يجب أن نلاحظ، المهاجرين أو النازحين غير أوطانهم إلى أوطان جديدة يحتفظون في الوطن الجديد بميزات لغوية قديمة قد تكون اندثرت أو تلاشت في الوطن القديم كما تحدث في فرنسا مونتريال "كندا" فإنها تحتفظ بعناصرها لغوية تعود إلى الاعتقاد بأن فقدان الإعراب من لغة الكلام والظواهر اللغوية الأخرى من الأمور السابقة للهجرة العربية إلى مواطن جديدة، وليس نتيجة العوامل التي ظهرت بعد الفتح والاحتكاك بالأمم الجديدة، إن اتساع الرقعة الجغرافية يعمل على تشعب المجرى وتجزئته إلى مجار صغيرة مختلفة.

¹ أنيس فري، اللهجات و أسلوب درستها، ص 87.

احتكاك لغة بلغة أخرى:

عندما تدخل لغة جديدة إلى بقعة جغرافية جديدة فإنها لا تدخل إلى فراغ لغوي يجب أن يكون هناك قوم أو أقوام يتكلمون لغات مختلفة وفي هذه الحالة يحدث واحد من الأمرين:

إما أن تغلب لغة الفاتح فتحل المرتبة الأولى وتصبح لغة البلاد الرسمية، أو تتغلب لغة المغلوبين بفضل تقدمهم في الحضارة أو بسبب قلة أفراد الجماعة العسكرية المجتاحة وفي الحالتين يطرأ تغيير في اللغتين سواء أ ماتت الأولى أو انتصرت الثانية، إذا نتيجة هذا الصراع اللغوي يظهر في اللغة وأفضل مثال على هذا الاحتكاك العربية بالأرامية والإيرانية بدأ تعرب سوريا قبل الفتح العربي ولم يكن من الصعب على اللغة العربية، نظرا لتعرب ونظرا للتقرب العرقية اللغوية بين الآراميين والعرب، أن تفرض ذاتها بفضل العامل الديني والعسكري وقد كان احتكاك العرب الثقافي بأهل سوريا قديم العهد يظهر لك ذلك في كثير من المفردات الثقافية الزراعية الدينية التي هيا أصل السرياني¹ فكان من الطبيعي أن تعتري العربية تغيير كبير في الأصوات والتركييب والتعابير سواء أكان المتكلمون من العرب أم من أهل البلاد.

أثر السريانية ظاهرة في عربية سوريا ولبنان وهذا الأمر طبيعي فعندما يقول اللبناني أو السوري أو العراقي "شفتو لأخوك لخيرك" فإنهم يتلمون اللهجة مفرداتها عربية ولكن تركيبها سريانية فصيحة: هكذا يجب أن يقال في السريانية فكأنه يصعب على الناس أن ينسوا نسيانا تاما يسميه علماء اللغة نماذج لغوية، وعندما يقول بعض اللبنانيين

¹ راجع كتاب: Sigmund frankl :die aramaishen frend Werther in arabe schen ,deiden 1886.

"أنا" فإنما ينطقون الضمير السريانية في اللهجة "اللبنانية"، "السورية"، "العراقية" موطن "الآرامية القديمة"، نخص بالذكر منهم العالم اللبناني المنسنيور غالي الذي كان أستاذ اللغات السامية في الجامعة بوردو في فرنسا، وفي كتبهم ما يغننا عن الإسهاب¹.

¹راجع الكتاب: mgc Michel feghaleM : syntaxe des parlers arabes actuels du Liban, paris 1923.

المبحث الثاني: عوامل تفرغ اللغة الواحدة إلى لهجات.

يعتري اللغة الإنسانية اتجاهان مختلفات، أحدهما يعمل على تفرغ اللغة الواحدة إلى لهجات متباينة، والآخر يعمل على توحيد هذه اللهجات المتباينة، ولكل من هذين الاتجاهين عوامل عدة، تقود إما إلى التفرغ أو التوحيد، والأمثلة على هذا وذلك في القديم والحديث، تند على الحصر فالعربية الفصحى تهيأت لها هذه العوامل قبل الإسلام فوحدتها في اللغة المشتركة التي جاء بها الأدب الجاهلي، شعرا ونثرا، وبعد الفتوحات وانتشار العربية في الأمصار والأقطار برزت عوامل التفرغ فأدت بها إلى التنوع اللهجي الذي نشهده اليوم في محيط انتشار اللغة العربية، من لهجات سودانية ومصرية مغربية ويمنية وغير ذلك فيما تتمثل هذه العوامل التي تسير باللغة الواحدة نحو التفرغ؟

هناك عدة عوامل تعمل متى توافر بعضها على تفرغ اللغة الواحدة إلى لهجات¹، وهذه العوامل هي:

1/ عوامل سياسية:

وتتعلق باستقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة وضعف السلطان المركزي، الذي يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات، وتلك أن اتساع الدولة وكثرة المناطق التابعة لها، واختلاف الشعوب الخاضعة لنفوذها، كل ذلك يؤدي إلى ضعف السلطان المركزي، وتفككها من الناحية السياسية وانقسامها إلى دويلات أو دول مستقل بعضها عن بعض، وغني عن البيان أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية والوحدة اللغوية.

¹ علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص 125.

فاللهجة إذن تتضح حدودها إذا كانت تطابق تقسيما سياسيا، وتبقى هذه الحدود زمنا طويلا بعد زوال الظروف التي أدت إلى تحديدها¹.

ومن أمثلة ذلك في نظم الإدارة الأهلية في بعض البلاد العربية على مستوى الدولة، كلمة "المختار" ببلاد الشام ويقابلها في مصر والسودان "العمدة" أما في العراق لدى العشائر البدوية، وفي اليمن فيقابل ذلك كلمة "شيخ".

2/ عوامل اجتماعية :

وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في النظم الاجتماعية والعرف، والتقاليد، والعادات، ومبلغ الثقافة، ومناحي الفكر، والوجدان فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير.

ومن هذا القبيل، أن المجتمعات التي يسود فيها نظام الطبقات الاجتماعية، مثلها هو الحال في اليمن، فالمجتمع اليمني القبلي سواء في الريف أو المدينة ينقسم إلى مجموعتين رئيسيتين، و كل مجموعة منها تتألق من أربع شرائح كما يلي:

أ/ طبقة الأغلبية: وهم المحاربون أو من يدفعون الغرم في السلم والحرب وينقسمون بدورهم إلى "القضاة" وهم الفقهاء المؤهلين من غير بني هاشم. و"شيوخ القبائل" في المناطق التي ما يزال النظام القبلي سائدا فيها، وأبناء القبائل ذوي الأصول القحطانية من سكان اليمن الأصليين والأشراف العدنانيين، المحاربين من سكان المناطق السنية، ثم التجار والفلاحين والمتقنين العصريين.

¹ اللغة، جوزيف فندريس، ص 327.

ب/ طبقة الهجر:

وهم الأقليات المعفاة من غرم الحرب والسلم، ويستمدون الحماية من القبائل التي يعيشون بينها، ويندرج في إطاره هذه الطبقة "السادة" وهم الهاشميون غير المحاربين، من سكان المناطق الزيدية، الخاضعة لحماية القبائل. "اليهود" والأقليات الدينية من أهل الكتاب وغيرهم، و"المزينة" وعهم ذوي الحرف والمهن البدوية، ثم من يسميهم المجتمع "بالخدم" أو الأخدام وهم من أصول إفريقية.

فهذا النظام الطبقي، وهو من النظم الاجتماعية، ألقى بظلاله على وسيلة التعبير، فاصطبغت اللغة به، وأصبحت بعض هذه المفردات تعبر عن معان خاصة في المجتمع اليمني، بينما لا تشير إلا إلى معناها اللغوي المحض في غير تلك البلاد.

3/ عوامل جغرافية:

تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة، من فروق الجو، وطبيعة البلاد وبنيتها، وشكلها، وموقعها، وفيما يفصل كل منطقة عن غيرها، من جبال وأنهار، وبحيرات، صحاري، وغابات، وهلم جرا، فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية، تؤدي عاجلا أو آجلا إلى فواصل في اللغات.

ومما تسببت فيه هذه العوامل الجغرافية ما يشيع في اللهجات العربية القديمة، في استخدامهم مثلا للاغتسال كلمة "ابترد" ، وهي للاغتسال بالماء البارد خاصة وقد ورد في لسان العرب¹، ابترد الماء: صبه على رأسه باردا ، قال عروة بن أذينة:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبتى بردت ببرد الماء ظاهرة فمن لحر على الأخشاء يتقد؟

¹ لسان العرب، ج3، ص83.

أما الاستحمام: فهو الاغتسال بالماء الحار، هذا هو الأصل ثم صار كل اغتسال استحماماً بأي ماء كان¹، ومعلوم أن أهل البلاد الباردة يغتسلون بالماء الحار، بينما يميل أهل البلاد الحارة في اغتسالهم وهو الشائع الآن في بلاد البقارة في جمهوريتي السودان وتشاد، فهم لا يقولون إلا ابتدأً. فهذه العوامل الجغرافية جعلتهم يطلقون على اغتسالهم لفظين مختلفين لاختلاف ماء الغسل في كل منهما، هذا هو الأصل. ومن ثم جرى التعميم في الإقليمين، بمعنى أن أهل البلاد الحارة وأن اغتسلوا بماء حار فهم (يتبردون)!!

وأضاف د. علي عبد الواحد وافي لهذه العوامل عاملين آخرين² هما :

1/ عوامل شعبية:

تتمثل في بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس، والفصائل الانسانية التي ينتمون إليها، والأصول التي انحدروا منها. فمن الواضح أن لهذه الفروق آثار بليغة في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

2/ عوامل جسمية:

تتمثل في بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق، فمن المحال وجود فروق كهذه أن تظل اللغة محتفظة بوحدتها الأولى أمدًا بعيدًا.

والذي أميل إليه أن اعتبار العاملين السابقين من عوامل تفرع اللغة الانسانية وانقسامها إلى لهجات محل نظر للآتي:

¹ لسان العرب ، ج12 ، ص 154.

² علم اللغة، علي عبد الواحد وافي ، ص 175-176.

1- إن من خصائص اللغة الانسانية أنها مكتسبة، يتعلمها الانسان من المجتمع الذي ينشأ فيه، فالطفل الذي يولد في محيط عربي يتحدث -لا محالة- العربية وإن كان من أصل غير عربي.

بالتالي لا مجال لفصيلته الانسانية والأصل الذي انحدر منه، قيمة في تحديد اللغة التي يتحدثها. وإذا كان الحال كذلك فلا شأن لأصول البشر، وأنسابهم التي انحدروا منها في إحداث هذا التنوع في لهجات اللغة الواحدة.

2- برهن علماء التشريح أن أعضاء النطق لدى كل البشر متحدة في كل تفاصيلها¹، مما يعني عدم تأثير أعضاء النطق في إحداث أي تغيير في اللهجة. بالإضافة لتلك العوامل التي تحدثنا عنها، هناك عاملان آخران يجدر بنا إضافتهما إلى تلك العوامل السابقة ألا وهما:

* العامل اللغوي:

يبرز العامل اللغوي بوصفه أحد أهم العوامل التي تسارع باللغة إلى التفرع إلى لهجات، يبدو عاملا داخليا محضا، مرده إلى ما يعتري اللغة من تغيير على السنة متحدثيها، وقد انتشرت في بقعة واسعة، فيجتاح البعض من أبناء اللغة -لا شعوريا- إلى إنتاج بعض أصوات اللغة بطريقة تخالف المناطق الأخرى، أو أن تستخدم صيغة صرفية مغايرة، أو غير ذلك في المستويات اللغوية الأخرى، يؤيد مذهبنا هذا في دور العامل اللغوي الأستاذ جوزيف فندريس بقوله: "ومهما كانت أهمية العوامل السياسية والاقتصادية فإن اللهجة أولا وقبل كل شيء وكيان لغوي، وحتى عندما

¹ دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص219.

نحسب الظروف الخارجية في تكوين اللهجات، يبقى أن هذه الظروف تستند جوهرياً إلى التطور الطبيعي لعناصر اللغة¹.

هذا العامل يعتري اللهجة في مختلف مستوياتها اللغوية ويبدو جلياً -على سبيل التمثيل لا الحصر- في هذه الأمثلة لكل المستويات اللغوية على النحو الآتي:

1- المستوى الصوتي:

أ- اختلاف مخارج بعض الأصوات، فالجيم العربية من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، بينما تبرز الجيم القاهرية من أقصى اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى².

ب- اختلاف بين الهمز والتسهيل، ومثاله الخلاف بين همزة التميميين في بئس وفؤاد وكأس وتسهيل الحجازيين لتصبح ببس وفواد وكاس.

ج- اختلاف في الحركات بين الكسر والفتح في أوائل المضارع، قال الفراء هي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرهم يكسرها³.

د- اختلاف بين الفتح والإمالة في نحو رمى وقضى.

هـ- الاختلاف في قوانين التأثر الصوتي، حيث قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات، فقالوا اجدمعا واجداز، في اجتمعوا واجتاز⁴.

ومثله ما أورده ابن جني في الخصائص قولهم الصقر والسقر، والزقر⁵.

¹ اللغة، جوزيف فندريس، ص 327.

² الأصوات اللغوية، براهيم أنيس، ص 69.

³ الصاحبى في فقه اللغة، ص 25.

⁴ سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج 1، ص 198.

⁵ الخصائص، ج 1، ص 378.

و- اختلاف في إدغام المتماثلين فتميم تجنح إلى الإدغام بينما تميل قريش على فكه وقد جاءت اللغتان في الآية: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيُمَلِّ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ﴾¹، ولم يورد صاحب النشر في هذه الآية، اختلافا في القراءات².

ز- الاختلاف في التقديم والتأخير في نحو صاعقة وصاقعة³.

2- المستوى الصرفي:

ويتمثل في الاختلاف في بعض صيغ بناء الكلمة، ومثاله بناء صيغة المفعول من الثلاثي الأجوف فتأتي على مدين، ومبيع في الحجازية، ومديون ومبيوع في التميمية، ومنه مؤنث فعلان صفة لمذكر يأتي على فعلى كسكران وسكرى وغضبان وغضبي، أما عند بني أسد فيأتي على فعلانة نحو غضبانة⁴ وسكرانة⁵، وبعض صيغ الجموع نحو أسرى وأسارى وبهما جاءت الآيتان في رواية حفص: ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم﴾⁶، ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾⁶

ورهان ورهن ، جاءت الأولى في رواية حفص : ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾⁷ بينما هي في رواية الدوري : ﴿فَرِهَانَ مَّقْبُوضَةً﴾⁷، ومنهم في لهجة الأندلس في قولهم أحمر بين الحمورة، وأصفر بين الصفورة⁸،

¹سورة البقرة، 282.

²النشر في القراءات العشرابن الحرزي ، ج2،ص187.

³الصاحبى في فقه اللغة، أحمد بن فارس ، ص25.

⁴لسان العرب ، ج2، ص141.

⁵سورة البقرة، ص 85.

⁶سورة الأنفال، 67.

⁷النشر في القراءات العشر، ج2، ص187.

⁸لحن العامة ، الزبيدي، ط2،ص274.

ورجل مشوم وبعضهم يقول رجل مشوم¹ رجل مشؤوم. ومنه أيضا في اللهجة الأندلسية في جمع لجام على أجم بدلا من أجم².

03/المستوى الإعرابي:

ومن مشهور اختلاف اللهجات في اللهجات الإعرابية، إعراب الخبر الواقع بعد (ما) النافية فهو في الحجازية منصوب، وبهما جاءت رواية حفص:

﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾³ أما التميميون فلا يعملونها ويكون ما بعدها مبتدأ وخبر: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾. لذا قال سبويه: "وبنو تميم يرفعونها إلا من ذرى كيف هي في المصحف"⁴.

وقريب من هذا خبر ليس إذا اقترن بلا «فما في الأرض تميمي إلا وهو يرفع، ولا حجازي إلا و هو ينصب» كما قال أبو عمر بن العلاء، و من ذلك استعمال متى شرطية واستفهامية لدى غالبية العرب، وبمعنى من الابتدائية لدى هديل وسمع من بعضهم:

أفرجها متى كمه وبها جاء فعل أبي ذؤيب:

شربن بماء البحر ثم ترفعن متى لجج خضر لهن تئيج⁵

حيث جرت متى كلمة لجج، ومنه أيضا ماروي عن عقيل في استخدام لعل حرف جر⁶ وبها جاء قول الشاعر.

¹ لحن المرجع السابق، ص 324.

² المرجع السابق، ص 76.

³ سورة يوسف-31-

⁴ الكتاب، أبو بشر، سويه، ط3، ص 59.

⁵ خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، ط1، ج7، ص 98.

⁶ أوضح المسالك، ابن هاشم الأنصاري، ج3، ص 08.

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب¹

حيث استخدمت لعل حرف جر في اللغة المذكورة، ومنه خلافهم في إعراب المنادى المرخم في نحو قول امرئ القيس:

أفاطم مهلا بعد هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت صرميف أجمل²

فهو مبني على ما يرفع به على لغة من لا ينتظر، ومنصوب في لغة من ينتظر من العرب³.

المستوى الدلالي:

من الثابت لدى علماء العربية الأوائل، والمحدثين ممن ذهب إلى ورود الترادف المشترك اللفظي والتضاد في العربية، من الثابت لديهم أن اختلاف لغات العرب أسهم في ورود هذه الجوانب الثلاثة في اللغة العربية⁴، وهذه الجوانب وإن ارتبطت بنواح دلالية إلا لأنها مما أضفى على اللغة جانبا من جوانب التنوع الذي هو اللغات المختلفة التي كانت عليها القبائل العربية قديما.

فتسمية المسميات في العربية يختلف من بيئة لأخرى حسب ما لحظه فيها المسمون وبحسب الجذر الذي جاءت منه التسمية وطريقة الاشتقاق وما يقترن بذلك أحيانا من تبدل المفردات، فالمقابر في السودان تقابلها المجنة في اليمن، والقرافة في مصر، ومنه أيضا ما شاع مؤخرا في بعض البلاد العربية من تسمية العسكر المدافعين عن

¹ خزانة الأدب ، البغدادي ، ج10، ص 426.

² شرح المعلقات السبع ، حسين بن أحمد الزورني ، ط1، ص45.

³ أوضح المسالك: ابن هشام الأنصاري، ج4، ص61.

⁴ فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، ص361.

بعض الأنظمة فهم الباطجية في مصر، والبلاطجة في اليمن، والشبيحة في سوريا، والمرترقة في ليبيا وغير ذلك.

وتحفل كتب التراث، ومظان اللهجات، ولحن العامة بالكثير من هذا الضرب ومنه استعمال وثب بمعنى جلس في الحميرية¹، والشائع في معنى السرحان والسيد هو الذئب، لكل هُدَيْل تستعملها بمعنى الأسد².

ومن ذلك أيضا في لهجة الأندلس، الحاجب للوزير³ والمسدد⁴ للقاضي أو الحاكم الذي يتولى شؤون بلدة صغيرة، والداريون للعسس⁵ ذلك أن كلا منهم موكل بدرب من دروب البلد.

ومن ذلك الخلاف في الدلالة في لهجة الأندلس أيضا، قولهم للكأ الأخضر حشيش⁶، والتطيف هو عددهم التوفية والزيادة، ولا يعرفون فيه غير ذلك، ويقولون إناء مطفف أي ملآن⁷.

عامل التأثير بلغات أجنبية:

ونلاحظ ذلك عند احتكاك بعض متكلمي اللغة، بلغة أخرى، مما يؤدي إلى نشوب صراع لغوي بين هاتين اللغتين، تشرب على ضوءه بعض نظم اللغتين إلى الأخرى مما يكسبها صفات لغوية مميزة تخالف بها اللغة التي تنتمي إليها في هذا المحيط الجغرافي، وما هذه الصفات اللغوية، إلا ضرب من التعدد اللهجي. والشواهد على

¹ الصاحبى، في فقه اللغة، أحمد بن فارس، ص 27.

² لسان العرب، ج 2، ص 481.

³ نفع الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، ط 1، ج 1، ص 187.

⁴ المصدر السابق، ج 1، ص 179.

⁵ المصدر السابق، ج 1، ص 180.

⁶ تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، ابن مكي الصقلي، ص 160.

⁷ المرجع السابق، ص 167.

ذلك أكثر من أن تحصى، فالعامية السودانية تجردت بعض أصوات الفصحى مثل الناء، والذال، والظاء، وتغيرت بعض مخارجها كالقاف، إضافة إلى اقتراض الكثير الدخيل عليها من الذوبية، وغيرها من اللغات التي احتكت بها. وفي الشق الثاني نعني خضوع جزء من البلد لغزو عناصر أجنبية، نلاحظ العامية التشادية وما تحفل به من مفردات فرنسية مثل:

وتيرة(سيارة)، وتجمع على وتاير، ولبتان(مستشفى)، مبال(للخبز) ، وسرسار(رتبة عسكرية)، من اللغة الفرنسية voiture- l'hospital- des pains- sergeant . وغيرها من المفردات، في حين تستخدم أقرب اللهجات العربية لها، مفردات عربية صدف في مقابل كثير من ذلك الدخيل من الفرنسية، ولم يتوقف الأمر على اقتراض المفردات، بل تعداه إلى تغيير بعض الملامح الصوتية من مخارج الأصوات، وغيرها في تلك اللهجة والعامية المصرية، وما بها من رواسب الفرنسية، والتركية، والانجليزية، لتعاقب تلك الأمم في غزو مصر، خير شاهد لما تقول.

وقد لاحظ قدامى اللغويين، أثر هذا العامل «التأثر بلغات أجنبية» بوضوح تام تمثل في رفعهم الأخذ من لحم وجدام لمجاورتهم أهل مصر والقبط¹، وقضاة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم يقرؤون بالعبرانية، وتغلب والنمر² فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان...إلى آخر عبارة السيوطي³.

وأشار الزبيدي إلى ذلك قائلاً: "لم تزل العرب العاربة في جاهليتها و صدر إسلامها تنزع في نطقها بالسجية، وتتكلم على السلقة، حتى فتحت المدائن ومصرت

¹ فصول في فقه العربية، ص104.

² المرجع السابق، ص 104.

³ المزهر، ج1، ص212.

الأمصار، ودونت الدواوين، فاختلفت العربي بالنبطي والنقي الحجازي بالفارسي، ودخل الدين أخلاط الأمم، وسواقط البلدان فوق الخلل في الكلام، وبدأ اللحن على السنة العوام¹.

وممن أيد ما ذهبنا إليه، ابن الحزم الأندلسي في قوله: «ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط، وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كأن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى، تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله²».

¹ لحن العوام ، التريدي،ص59.

² الإحكام في أصول الأحكام ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي،ج1، ص 31.

المبحث الثالث: الفرق بين اللغة واللهجة والعلاقة بينهما.

ما الفرق بينهما؟ وقد نعجب لهذا السؤال، فإن الفرق عندنا واضح ولكن على ضوء علم اللغة مبدئياً بين اللهجة "dialecte" واللغة "langage"، كل لهجة لا بد أن تكون جزءاً من بيئة أوسع وأشمل تضم عدت لهجات لكل منها خصائص، ولكنها تشترك جميعها في مجموعة الظواهر اللغوية التي تسير اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة¹، وهكذا لكل مجموعة بشرية قلّت أو أكثر، عاداتها الكلامية المشتركة التي تواصل وتتفاهم بها، ويطلق على هذه العادات الكلامية التي نشأت واعتادت عليها هذه المجموعة اسم اللهجة.

ويترتب على ذلك وبشكل منطقي أ، ترتبط اللغة واللهجة بعلاقة العموم والخصوص، حيث اللغة، لها عدة لهجات هي تمثل العام، وكل لهجة من لهجاتها تعتبر جزءاً منها وتمثل الخاص بالنسبة لها.

وكان العرب قديماً يعتبرون أن اللهجة لغة، فقد ورد عنهم، لغة قريش ولغة تميم، واللغة العليا واللغة السفلى، واللغة الرديئة، واختلاف اللغات كلها حجة كما ورد في الخصائص "باب اختلاف اللغات وكلها حجة" ... ألا ترى أن لغة التميميين في ترك أعمال ما يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في أعمالهم كذلك² ...

وفي الصاحبى "باب القول في اختلاف لغات الغرب .. وباب اللغات المذمومة"³ وفي الوقت نفسه يطلقون مصطلح اللغة على المعنى الشامل أي اللسان الذي ينطوي

¹ انيس: المرجع السابق، ص16.

² ابن جنى: 10/2.

³ ابن فارس الصاحبى ص50-56.

تحتة عدة لهجات كما الخصائص كذلك، باب في اللغة أتواضع هي أم إلهام¹ بالإضافة إلى مصطلح اللسان أو اللغة بمعناها الشامل، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِكُلِّ لُغَةٍ أُمَّةٌ﴾³، وبالضرورة يجب أن يكون لكل لغة أو لسان سمات وصفات تميزها عن اللغات الأخرى ولو كانت من فصيلتها، كالعربية التي عرفنا أن خصائصها التي تميزها عن بقية السمات في الفصل السابق ومما يجدر ذكره أن اللغة مر عليها عهد كانت فيه اللهجة ثم أخذت بسبب ظروف تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية تتفرد بخصائص تميزها عن أخواتها من اللهجات حتى استقلت شيئاً فشيئاً وأصبحت لغة.

أما الصفات الكلامية التي تتباين فيها اللهجات وتتمايز في ما بينها من ناحية، وتخالف منها اللغة التي تفرعت عنها أو انبثقت منها من ناحية أخرى فيمكن توزيعها على الجوانب اللغوية التالية:

1- الاختلاف المتعلق بالجانب الصوتي:

من حيث طبيعة الأصوات وكيفية نطقها أي ما يتعلق بصفات الأصوات ومخارجها ويقصد بذلك "الصفات الصوتية التي كانت عليها اللهجات العربية" وهو ما كان سببه إبدال الصوت بآخر، سواء أكان صوتين صامتين، أم كان صائتين أم كان أحدهما صائناً طويلاً والآخر صائناً قصيراً، متفقين في المخرج أو متقاربين

¹ ابن جني: 33/1، 28/2.

² سورة إبراهيم، الآية (14).

³ سورة الروم، الآية (30).

¹ ويقصد بالصائت الطويل الألف، والواو والياء إذا كان مداً، والصائت القصير قد يكون فتحة أو ضمة أو كسرة، ويختص هذا الجانب بأكثر الظواهر اللهجية العربية، بروزاً وانتشاراً قديماً وحديثاً، بما تحدد من خصائص في اللهجات العربية القديمة يمكن أن نجد لها امتداداً في اللهجات الحديثة على امتداد الوطن العربي وبيان بعض هذه الخصائص اللهجية كالتالي:

(أ) - التثنية:

وهي كسر حرف المضارعة كقولهم تعلم، تدري، ونسبت في تفسير "أبي حيان" إلى قيس وتميم وأسد وربيعة² حيث قرئ "تسعين" نكسر "النون" وعراها الحريري³ إلى بهراء.

وهذه السمة اللهجية مازالت ممتدة في العاميات الحديثة فيقال في فلسين مثلاً، إنت تدري... وتعرف إنك شاطر، أنت لازم تسري من الصبح وتشتري من السوق.

(ب) - الطمطمانية:

تعرض في لغة حمير كقولهم طاب إمهواء يريد طاب الهواء⁴ والسيوطي يقول "قد تخلفه (أل)، أم في لغة عزيت لطيء وجمير⁵ وأما ابن يعيش فيفسر الطمطمانية بأن يكون مشتبهاً بكلام المعجم يقال رجم طمطم أي في لسانه عجمة لا يفصح⁶، وأما الهمذاني فيذكر مواطن هذه السمة غير فضيحة حين يتكلم عن لغات أهل الجزيرة

¹ كاصد الزيدي، فقه اللغة العربية، ص 210.

² البحر المحيط، 23/1.

³ درة الغواص: ص 250.

⁴ الثعالبي: فقه اللغة، ص 73.

⁵ الهمع، 79/1.

⁶ شرح المفصل، 49/9.

ويبدأ باليمن فيقول سرو حَمِير وجعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير... فيقولون بابن معم في بابن العم... وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلا مثل قولهم أم رجل...

(ج) - الغمغمة: وهي أن تسمع أصواتا ولا تحدد منها الحروف ولا يبين الكلام وقد ذكر صاحب الخزانة أن الغمغمة أن لا يتبين الكلام وأصله أصوات الثيران عند الذعر وأصوات الأبطال عند القتال¹ وتنسب لقضاعة².

(د) - العجرانية: وهي الجفاء وتنسب لضبة ومما ينسب في اللسان³ لقبيل طيء القطعة أنها كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقال مثلا: يا أبا الحك، بدلا من (أبا الحكم).

(هـ) - الخلخانية: يظهر أنها تعني حذف الأصوات من الكلام من خلال المثل الذي تضربه كتب اللغة وهو قولهم: مشا الله في ما شاء الله وتعرض هذه السمة في لغة أعراب الشحر وعمان⁴.

الوتم: وهو قلب السين تاء لغة لبعض العرب⁵، كقولهم: انت في الناس وأكيات في أكياس، كما جاء في قول علياء بن أرقم اليشكري⁶:

يا قبح الله بني السعلان عمرو بن يربوع شرار النات
غير أعفاء ولا أكيات

¹ الجزانة، 465/11.

² أنظر الكامل للمبرد 370/1-371، ولهجات العرب لأحمد تيمور، ص 130، معتمدا على العقد الفريد، 48/3.

³ اللسان مادة قطع، وفي اللهجات العربية، ص 134.

⁴ فقه اللغة، الثعالبي، ص 73 والمزهر 223/1.

⁵ اللسان، نوت أنس.

⁶ النواذر: لأبي زيد 345/، سر الصناعة 155/1، الإشتقاق لابن دريد (277)، شرح مفصل 36/1، والسعلاة هي الغول،

والأكيات هي الأكياس.

أ-الوكم:

في لغة ربيعة وهم من كلب يقولون عليكم وبكم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة¹، فيقال: السلام عليكم، ويذكر أن مثل هذه اللهجة موجودة في فلسطين، فيقال: رقا قلكم (جمع رقم)، الحاكم لحية بشرط أن تلفظ الكاف صوتاً مزجياً "تش"، وقد نسبها سيويه إلى بكر بن وائل وحدد موقع الضمير بعد الكسر وجاء في الكتاب: وقال ناس من بكر بن وائل: من أحلامكم، وبكم تشبهها بالهاء لأنها علم إضمار، وكان أخف عليهم من أن يضم بعد أن يكسر، وهي رديئة جداً، سمعنا أهل هذه اللغة يقولون: قال الحطيئة:

وإن قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

ويبدو أن الوكم خاص بضمير الكاف فقط.

ب- الوهم: وهو خاص على ما يبدو بضمير الهاء ففي باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإضمار يقول سيويه: فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة... وقال بعضهم عليهم... وأعلم قوما من ربيعة يقولون: منهم أنبعوها الكسرة ولم يكن المُسكَّن حاجزاً حصينا عندهم².

وقد نسبت هذه السمة اللهجية في المزهر والاقتراح لقبيلة كلب، حيث قال السيوطي "الوهم في لغة كلب يقولون: منهم وعنهم وبينهم، وإن لم يكن قبل الهاء ياء أو كسرة.

¹ المزهر: 222/1.

² السابق: 196-195/4.

1. الاختلاف اللهجي في بنية الكلمات:

فقد تتباين الأبنية بين اللهجات بتغيير أو باختلاف الحركات أو الأصوات اللين القصيرة، أي يكون المبنى الواحد ولكن يختص الاختلاف بين اللهجات عن طريق تغيير حركة أحد حروف هذا المبنى، وأظهر ما يكون هذا التمييز اللهجي في حركة المضارع في الأفعال الثلاثية ونحو: قنط يقنط ويقنط قنوطا ... وقال الأزهري: وهما لغتان : قنط بقنط و قنط يقنط قنوطا في اللغتين¹ ومثله: هلك يهلك وكل ذلك لغات²، ومنه ننف ينزف وينزف، ونزع ينزع وينزع ونشل ينشل وينشل وطعن يطعن ويطعن³، ومنه ركن إلى الشيء و ركن يركن ويركن وقال الجوهري وهو على الجمع بين اللغتين و قال كراع: ركن يركن ولغة أخرى ركن يركن وليست بفصيحة⁴. وقد عقد السيوطي بابا في المذهب سماه ذكر الألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم⁵ ومنه: أهل الحجاز يقولون يبطش وتميم يبطش.

وقد يكون الخلاف بين اللهجات مبنيا على تغيير صوت اللين الطويل ليس الحركة في البناء الواحد فأهل الحجاز يقولون: ضاقوه البئر تميم أقلية⁶ ومثله: حاز يحوز وحال يحول وطغى يطغى ويطغوا⁷، ويقع كذلك في ابنية الاسماء تتحرف الصيغة واللفظ واحد نحو قولهم: الطنسفة والطنسفة وكذلك في أبنية اللين ورغوته ورغوته

¹ أنظر لسان: مادة قنط.

² اللسان مادة هلك.

³ أنظر اللسان في أبوابها

⁴ السابق: باب ركن.

⁵ ج2/ص275 ص276.

⁶ المزهر: 272/2 .

⁷ انظر لسان في ابوابها

ورغاوته ورغايته وكقولهم النزوح¹ والذروح والذرشيح والذراح والدرح....روينا ذلك كله² وقد يكون انحراف الصيغة في اسماء بتغيير أحد الحروف، وفي رأي "ابن جني" ذلك اولى بان تكون لغات لجماعات نحو:

اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما: الصقر (بالصاد) وقال الاخر السقر ... وقال الثالث إنما هو الزقر أفلا ترى الى كل واحد من الثلاثة، كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها، وهكذا تتداخل اللغات³ ومن ذلك قولهم: بغداد وبغدان والصيدلاني والصيدناني الذي يبيع العطور والعقاقير والقلنسوة والقلنسية⁴ وقال أيضا بغداد وبغدان ومغدان، وطبرزل وطبررن⁵

وقالو للحية: أيم و أين⁶ فالأيم هو الثعبان عند هذيل وفي الحجاز بالتخفيف وفي تميم⁷: وما أشبه هذا بما يقال في العامية الفلسطينية: علوان وعنوان وفي جبريل جبرين وفي اسماعيل إسماعين وفي البيئات الريفية منها يقال: سيلة في سيرة وسرطة في سلطة.

2- الاختلاف اللهجي في الجانب النحوي:

وأظهر ما يكون ذلك في إعراب خاصة أعمال الادوات فكثير من الخلافات النحوية ردت إلى خلاقات في لهجات القبائل الأمثلة على ذلك كثيرة منها:

¹ هو دويبة اعظم من الذباب شيئاً.

² الخصائص: 373/1.

³ المرجع السابق: 372،374/1 .

⁴ فصيح ثعلب: ص 83.

⁵ وهو السكر الأبيض معرب عن الفارسية.

⁶ الخصائص 372/1.

⁷ في اللهجات العربية: 160 و اللسان مادة أيم و أين.

1- إهمال ليس اذا اقترن خبرها بالا عند بني تميم حملا على "ما" التي ينتقص نفيها فتكف عن العمل في مثل: ليس الطيب الا المسك ، حكى ذلك ابو عمرو بن العلاء فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفي فجاءه فقال يا أبا عمرو ما شيء بلغني إلا وهو يرفع ولا حجازي إلا وهو بنصب ثم قال لليزدي ولخلف الأحمر: اذهبا الى ابي مهدي فتلقاه الرفع فاءنه لا يرفع وإلى المنتجع التميمي النصب فإنه لا ينصب ، فأتياهما وجهدا بكل منهما ان يرجع عن لغته فلم يفعل ، فاخبرا أبا عمرو وعنده عيسى فقال له :بهذا فقت الناس¹

2- إعمال ما عمل ليس فقد ذكر ابن جني في باب اختلاف اللغات وكلها حجة أعلم أن سعة القياس يتيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم: الا ترى أن لغة التميميين في ترك أعمال ما يقبلها القياس في إعمالها كذلك، لان لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به² فاللغة الاولى اقيس والثانية أفصح³ وبها ورد الكتاب العزيز قال تعالى: "مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ"⁴ وكذلك (لا) تشبه بليس وهو خاص ايضا بلغة الحجاز دون تميم⁵ ويظهروا ان النحاة لم يتفقوا على إعمالها عمل ليس، فقد ذكر السيوطي : قال ابو حيان لم يصرح أحد بأن إعمال لا عمل ليس بالنسبة إلى لغة مخصوصة، إلا صاحب المقرب ناصر المطرزي فإنه قال فيه بنو تميم لا يعلمونها وغيرهم

¹ مغني اللبيب : 325/1 - 326 .

² الخصائص 10/2.

³ شرح المفصل : 108/1.

⁴ : يوسف 31.

⁵ شرح الأشموني: 473/1.

يعلمها، في كلام الزمخشري أهل الحجاز يعملونها دون طيء، وفي البسيط: القياس عند بني تميم عدم إعمالها ويحتمل أن يكونوا وافقوا أهل الحجاز على إعمالها¹.
 3- وأما لعل حرف الترجي المشبه بالفعل : فقد ورد تاجر بها لغة لعقيل ومنه قول كعب الفنوي²: فقلت: ادع أخرى وأرفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب وقول الشاعر: لعل الله فضلكم علينا بشيء أن أمكم شريم.
 4- وقد جاءت متى جارة على لغة هذيل ومن كلامهم: وأخرجها متى كمة ومنه قولهم:

شربن بماء البحر ثم ترفعن متى لجج خضر لهن نثيج³.

5- إلغاء عمل إذن الناصبة للمضارع وقد سجل ذلك السيوطي بقوله: والغاء إذن مع اجتماع الشروط لغة لبعض حكمها عيسى بن عمر وتلقها البصريون بالقول ووافقهم ثعلب⁴.

2. الاختلاف اللهجي في الجانب الدلالي:

فالسدفة في لغة تميم: الظلمة وفي لغة قيس: الضوء ولمقت الشيء إذا كتبتة في لغة بني عقيل وسائر قيس يقولون: لمقته: محوته⁵ وينقل كذلك السيوطي عن الجمهرة: الشعب: الافتراق، والشعب: للاجتماع وليس من الأضداد وإنما هي لغة القوم⁶.

¹ منهج الهوامع: 125/1.

² المغني: 317/1، شرح ابن عقيل 4/2.

³ شرح ابن عقيل: 6/2 و النشيج هو الصوت العالي، والمغني: 372/1.

⁴ الهمع: 7/2، وانظر كذلك الكتاب: 16/3.

⁵ المزهر: 389-390.

⁶ المرجع السابق: 396/1.

فليس ذلك من الأضداد فإذا جاء الحرف إلى معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: "الجون الأبيض في لغة حي من العرب، والجون الأسود في لغة حي آخر"¹.

وفي اللسان أهل الحجاز يقولون الهجرس القرد، وبنو تميم يجعلونه الثعلب²، وفيه أيضا السرحان والسيد بلغة هذيل والذئب في لغة غيرهم³، وفيه أيضا القينة المترين باللباس من الرجال وهي كلمة هذلية وعند غيرهم من تتبع مثل هذه الخلاف في كتب اللغة والأدب فإنه سيحظى بقدر وفير من الألفاظ التي تختلف دلالتها باختلاف ورودها لدى القبائل العربية وبناء على ما تقدم فإن اللغة الفصحى المشتركة يجب أن ترتفع عن مستوى هذه اللهجات، وعن المستوى العامية لأنها لغة الثقافة والأدب فلا تتضمن شيئا من خصائص اللهجات التي مر ذكرها.

فهي اللغة النموذجية الأدبية للعرب التي يكتب بها شعرهم، دون أن تكون لغة سليقة لعامة العرب قديما وحديثا فهي أعلى من مستواهم لأن لغة السليقة هي اللهجة التي تتضمن خصائص محلية تميمية أو حجازية مثلا ينطق بها المتكلم دون شعور منه بهذه الخصائص ويؤديها بآلية اكتسبها على مر الأيام منذ طفولته.

ولقد نشأت اللغة المشتركة في مكة لأسباب دينية وسياسية واقتصادية جعلت منها مركزا للوحدة اللغوية، بحيث لا يمكن الادعاء بأنها لغة قريش وحدها، ويعتقد أنها

¹المرجع السابق: 401/1.

²مادة هجرس.

³مادة سرح.

استخلصت من لغات العرب فقد "كانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة أسنتها إذ أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلانقهم التي طبعوا عليها، فأصروا بذلك أفصح العرب¹، فخلت لغتهم من خصائص اللغات أو اللهجات المذمومة، وضمت إليها ما استحسنته من صفات اللهجات الأخرى ما استحقت معه أن يطلق على هذه اللغة، اللغة العربية الفصحى التي كان عمادها لغة "قريش" للغات، وإذا كانت الدراسات اللهجية التي عنيت باللهجات العربية الحديثة مشبوهة بشبه سياسية لأنها بدأت على يد المستشرقين وخوفا من الفصحى من أن تحل محلها العاميات العربية، فإن هذا الأمر مستبعد لأسباب تاريخية ودينية وقومية حالت دون نجاح الدعوة إلى العامية في فترات ضعف الأمة، فما بالك في هذا الوقت التي بدأت فيه الأمة بالنهوض وبتسلم أبنائها زمام شؤونهم، وأصبح مطروحا ضمن التخطيط اللغوي أن تتجه إلى تقريب هذه العاميات من الفصحى نظرا لأصالة هذه العاميات وعمق صلتها بالعربية الفصحى الأم باعتبارها امتداد للهجات القديمة.

العلاقة بين اللغة واللهجة:

العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة التي تربط العام بالخاص فاللغة تشمل عادة على عدة لهجات واللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة واللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر

¹ المزهر، ج1، ص209 وما بعدها، الفصل الثاني في معرفة الفصحى من العرب، الصاحبى في فقه اللغة، ص52.

اللغوية التي تيسر اتصال الأفراد هذه البيئات بعضهم ببعض فهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات¹.

وفي الأخير يمكن أن نصل إلى لغة التواصل اليومي التي ينعدم فيها الانضباط باللغة الأصلية، إنها هي لهجة، ومتى ارتقت إلى الرسميات والمعاملات العامة فهي لغة، كما أن اللغة بهذا المفهوم تستطيع أن ترقى إلى سدة الإبداع لتتحى منحى الجمالية عند أصحابها دون اللهجة اليومية التي تعتبر مباشرة آنية الاستعمال لا مجال للإبداع فيها، ومنها يؤكد ذلك ما يلاحظ في كل الدول العربية من توحيدها في لغة واحدة، وخطاباتهم الرسمية وإعلاناتهم وإذاعاتهم يمكن أن يفهمها العراقي في بلده والمغربي وغيرهما دون اللهجة اليومية التي تختلف حسب اختلاف البلدان.

وبهذا الاعتبار أيضا يمكن التخطيط لتحويل العامية إلى الفصحى بوسائل يمكن وضعها، وهكذا يمكن إقامة الدراسات اللهجية من أجل أحد الغرضين أولهما باعتبارها موروثا اجتماعيا يحمل في ثناياه كثيرا من عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا وأدبنا، ومكارم أخلاقنا وصور كرمنا.

وثانيهما: باعتبارها ميراثا حضاريا علميا حيا بما فيها من نظم لغوية أو مظاهر فصيحة يربط بين هذه العاميات وأصلها الفصحى مما يمكن إفادة منه في التخطيط التعليمي.

¹ عبده اراجي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، 10 ش، سوتير، الأزراطية، ت 4830163387 السويس، الشاطبي ت ص 26.



خاتمة

وفي الأخير نستخلص من خلال بحثنا "اللغة واللهجة" مجموعة من النتائج ثملت في:

* اللغة هي الوسيلة الوحيدة لنشأة المعرفة الإنسانية وتكوينها وتطورها والتي ينتقل المرء خلالها إلى الآخرين المعاني والأفكار التي تدور في رأسه، التي هي أصوات ملفوظة مرتبة يفهم السامع المراد منها ويختل الفهم إذ تغير ذلك الترتيب.

* إن إنتقاء تعريف محدد للغة ليس بالعملية اليسيرة نظرا لتعدد تعريفاتها ومن ثم يفضل البعض أن تعرف اللغة من خلال استعمالها المختلفة ولهذا فإن اللغة تأخذ عدة معاني بالنسبة لعلماء اللغة.

* على الرغم من التباين الذي حدث بين العديد من الباحثين في جانب نشأة اللغة إلا أن الرأي الذي ذهب إليه مفكرو النظرية الرابعة هو الأصوب والذي يقوم على أن اللغة نشأت من الأصوات الطبيعية.

* فرق دي سوسير بين ثلاثة مصطلحات أساسية في الدرس اللساني و هي اللغة، اللسان والكلام، وهو تمييز بين ما هو اجتماعي وفردى وما هو جوهري وثانوي.

* أما اللهجة فهي مجموعة من الصفات والخصائص اللغوية التي يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية، وبالتأكيد فإن تفرغ اللغة إلى لهجات عدة يؤدي إلى تغيير في النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تبعا للأفراد الذين يداولونها، ولهجة الطائيين ولهجة القيسييين، كلها تصب في بحر العربية الفصحى إذن فالعلاقة بين اللغة واللهجة علاقة بين العام والخاص.

قائمة المصادر والمراجع :

- 01- القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
- 02- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو، القاهرة ، ط3 ، بدون تاريخ.
- 03- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أحمد حسن الزيات، المعجم الوسيط، إسطنبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر 2791، مادة لغاص.
- 04- ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي نجار، ط3 6141.
- 05- ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة ط4، بيروت، دار الكتاب العلمية ج1.
- 06- ابن فارس الصاحبى، فقه اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- 07- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب دار صادر بيروت، باب لغا، الطبعة"3" 12 4141.
- 08- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.
- 09- براهيم أنيس ،الأصوات اللغوية، دار العلوم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1.
- 10- أنيس فري: اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجبل بيروت، طبعة أولى 1409هـ.
- 11- أوضح المسالك ، ابن هاشم الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة المصرية، صيدا، بدون طبع ، ج3، 2003.
- 12- البحر المحيط، الفيروز أبادي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، ط2 ، 1952، ج1 .

- 13- الجرجاني: دلائل الإعجاز، الرباط ، دار الأمان 9891.
- 14- ابن جنى: الخصائص ، ص 410-412 وعنه أخذ السيوطي في المزهر.
- 15- ابن جنى، سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن وأحمد رشدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 2007.
- 16 - الزبيدي، لحن العامة، تحقيق رمضان عبد التواب الخانجي، القاهرة، ط2، 2000.
- 17- البغدادي، خزنة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون الخانجي، القاهرة ، ط1، 1989، ج7.
- 18- جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخي ومحمد الفصاص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1950، ط1 .
- 19- حاتم عماد :في فقه اللغة وتاريخ الاكتاب ،طرابلس ،ليبيا ،المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام 2891.
- 20- حسني خاليد: مبادئ اللسانيات، مبادئ اللسانيات المعاصرة، قراءة وتقويم.
- 21- حسين بن أحمد الزورني، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 2002.
- 22- الخفاجي ابن سنان: سر الفصاحة ،القاهرة 3591 ج1.
- 23- د. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية.
- 24- ش، سوتير، الأزارطية، ت 4830163387 السويس، الشاطبي درة الغواص
- 25- الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداوي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، باب لسن، 2141.

- 26- راوي صلاح، فقه اللغة وخصائص اللغة وطرق نموها ط1، القاهرة، كلية دار العلوم، 3991م،
- 27- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط6، 1999.
- 28- شرح المفصل، الزمخشري، دار الكتب العلمية ، ط1، 2001.
- 29- عبد السلام، أحمد الشيخ: اللغويات العامة مدخل إسلامي وموضوعات مختارة ط2، كوالالمبور، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، دار التحرير للطباعة والترجمة 6002.
- 30- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب 9791، مادة لغو.
- 31- الكامل للمبرد 370/1-371، ولهجات العرب لأحمد تيمور ، معتمدا على العقد الفريد، 48/3.
- 32- الكتاب: syntaxe des parlers arabes : Michel feghaleM : mgc actuels du Liban, paris 1923
- 33- كتاب: die aramaishen frend Werther in Sigmund frankl : arabe schen ,deiden 1886.
- 34- الكفوي أبو البقاء بن موسى الحسني الكلبيات، تحقيق عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، لبنان 8991.
- 35- لسان العرب، ج15، مادة لغا، دار صادر، بيروت ، ط7.
- 36- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات المعاصرة: قراءة وتقويم، دار الفكر، ط3، 2008.

مفردس

شكر

إهداء

أ	مقدمة:
2	مدخل:
6	الفصل الأول: اللغة.
6	المبحث الأول: مفهوم اللغة ونشأتها.
34	المبحث الثاني: ماهية اللغة (عند القدماء والمحدثين)
40	المبحث الثالث: الفرق بين اللغة و اللسان والكلام.
46	الفصل الثاني: اللهجة.
46	المبحث الأول: مفهوم اللهجة و نشأتها:
53	المبحث الثاني: عوامل تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات.
65	المبحث الثالث: الفرق بين اللغة واللهجة، العلاقة بينهما.
78	خاتمة.
79	قائمة المصادر والمراجع :